

مجلة البيان - العدد ٢٧ ، رمضان ١٤١٠ هـ / أبريل ١٩٩٠ م

الافتتاحية

بل ظاهرة أصيلة عامة

من الأفكار التي يحاول أعداء الإسلام إشاعتها بالإلحاح بتردادها أن عودة المسلمين إلى التمسك بدينهم ووضعهم في الاعتبار ليست ظاهرة أصيلة عامة ، وإنما هي ظاهرة جزئية يقوم بها شباب يائس يعيش تحت ضغط ظروف اجتماعية واقتصادية صعبة ، وأغلقت في وجهه كل الأبواب ، فلجأ إلى الإسلام كنوع من الهروب من مشاكله ، وصنع لنفسه جواً يشعر فيه بالأمان والاطمئنان! وقد جعلوا من عودة الشباب المسلم إلى الاعتزاز بعقيدته وإحلالها المحل الأول من حياته نوعاً من أحلام اليقظة التي لا تعدو - عند الإغراق فيها - أن تكون مرضاً نفسياً يحتاج إلى علاج !! وهذه النظرة القاصرة المغرضة نابعة ابتداءً إما من التحامل على الإسلام كدين ، والكراهية العميقة له؟ وإما من الآثار الفكرية للمبشرين والمتربيين في معاهدهم ودهاليزهم. أي أنها تعود إلى سببين رئيسيين :

أ- كره للأديان عموماً والإسلام خصوصاً.
ب- جهل عميق بالإسلام؛ كيف ينتشر وكيف ينحسر.
إن هذه التحليلات المغرضة التي تمتلئ بها الصحف والمجلات الأجنبية وعربية عن أسباب رجوع الإنسان إلى عقيدته تبدو مضحكة في كثير من الأحيان كما تبدو سمجة وثقيلة ، وما أشبهها بكلام كثير من المستشرقين عن الإسلام وأحكامه ، وعن شخصية الرسول محمد صلى الله عليه وسلم- ، بل إن هذه التحليلات امتداد لذلك الفكر الذي أرساه المستشرقون ، وعمل على ترسيخه أولياؤهم في عالمنا الإسلامي.
ونحن نقول : إنه على الرغم من غثاثة هذا الفكر وسطحيته فإنه يجد من يسمعه ويتعلق به ويعجب به من بيننا. ويساعد على ذلك أن هناك تقصيراً سببه تقاعس أهل الفكر الصحيح ، وأجواء فكرية تحدث من تكاسل هؤلاء؛ وجرأة أهل الباطل التي تحتضن الغث وتروجها ، وتقصي النافع وتشوهه.. لكن الذي يفوت هذه التحليلات هو طبيعة الإسلام كعقيدة ، وطبيعته في التفاعل مع الحياة ، ويظنون أن العقيدة الإسلامية إذا كانت في حالة ضمور فهي في طريقها إلى الموت دائماً. نعم ، قد يوجد من تضرع عقيدته ، ثم تموت ، ولكن هؤلاء نسبتهم قليلة ، وبما أن الساحة ليست لهؤلاء فقط ، حتى لو حوّل إخلاؤها لهم بكل السبل ، فإن من طبيعة البشر عامة أن تستخدم الاستقراء والاستنتاج كعمليات منطقية بسيطة ، فتدرس الظواهر هنا وهناك ، وتستنتج منها نتائج تعمل بمقتضاها. والمسلم إنسان قبل كل شيء ، لو نظر حوله لوجد عشرات ومئات الظواهر والدلائل التي تلفته إلى دينه لفتاً ، وتجعله يقتنع أنه لا يتلاعب به المتلاعبون ولا تجوز عليه الدعاوى والخدع إلا إذا كان رقيق الدين ضحل العقيدة. هذا على المستوى الفردي.

أما على المستوى الجماعي - سمه القومي أو الوطني إن شئت- فإنه كما يستعبد فرد فرداً ، ويهضم قوي حق ضعيف؛ فإن أمماً تأكل أخرى ، وتذوب حضارات وتندثر وتبنى على أطلالها حضارات ، ولا يودي بالأمة سوى ضعف العقيدة ، وانحلال الروابط الدينية التي تجمع أفرادها ومؤسساتها ، وعندما تنهزم الأمة نفسياً ، فتتخلى عن قيمها ومفاهيمها ، وتجلب قيم ومفاهيم القوي تطبقها راضية

مختارة بلا تمحيص وبلا خجل ؛ فهذا هو الانهيار والاندثار والذوبان بعينه. وقد ينخدع بعض الناس فتنعكس عندهم السنة الكونية التي تقول:

"حيث يكون الحق تكون القوة" فتصبح في نظرهم : "حيث تكون القوة يكون الحق" وهذا هو طريق الشيطان كما قال تعالى : ((الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) [البقرة: ٢٦٨] وهكذا فإن من طبيعة المسلم أنه يمكن أن يؤوب إلى الحق ، وإلا لما كان هناك من التوبة ، ويمكن أن يراجع نفسه فيصدقها وتصدقها ، والله يحوطه ويرعاه سواء كان مهتدياً أو ضالاً ، وهو رحيم بعباده يصرف عليهم العبر والحوادث ، ويمتحنهم بالمصائب والרגائب ((إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ)) [الأعراف: ٢٠١] "يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم" (جزء من حديث أبي ذر المشهور الذي رواه مسلم).

وكما يتوب المسلم عن الفواحش كالزنا ، وشرب الخمر ، والاستهتار بالمحرمات كذلك يتوب عن إهمال أمر الدين وعدم إحلاله المحل الأول في حياته وعن التغني بالشعارات والبدع التي تستورد من أعداء الله شرقاً وغرباً ، ويتوب عن تجزئة الإسلام أجزاء؛ فهذا يرفضه ، وهذا يقبله ، وهذا ضروري؛ وهذا هامشي! وعن قياس الإسلام على سائر النحل والأديان الأخرى ، واعتبار حاله بأحوالها ، وعن تضيق المفهوم الرباني للإسلام وتقليصه إلى أن يقتصر على هذه الحركات التي تمارس في المسجد ، وإلى هذه التراتيل التي تسمع عند موت شخص ، ولا شيء بعد ذلك. وباختصار ، فكما تكون التوبة من الموبقات الخلقية والسلوكية وارتكاب الفواحش ، والتهاون بأركان الإسلام؛ تكون أيضاً من الموبقات والفواحش الفكرية والعقيدية الشائعة. وإذا شئنا أن نناقش تحليلات هؤلاء الجهلة بظواهر الأمور - فضلاً عن جهلهم بنوايا المسلمين الذين يرجعون إلى دينهم زرافات ووحداناً - فإن الأسباب الاقتصادية والاجتماعية التي يذكرونها لا تكفي وحدها لتفسير ذلك ، وهذا تكذيب للواقع ، وإساءة إلى هذه الجموع العريضة من الشباب المسلم الذي يجتهد في إثبات عقيدته والتمسك بهدي ملته ، وتشكيك بتوجه هؤلاء؛ فلو كان العامل الاقتصادي هو الدافع فما بالنا بهؤلاء الذين اختاروا هذا الطريق على الرغم من البحبوحة التي يعيشون فيها؟ ماذا يدفعهم إلى هذا؟ أهو طمع في الزيادة؟!

ثم ما بال هذه الجماهير التي ذاقت بسبب تمسكها بعقيدتها كل أنواع المحن من قتل وسجن وتضييق وتشريد.. ومع هذا لم ترض الدنيا في دينها ، ولم تفتتها التهديدات ولا الإغراءات عن التخلي عما تؤمن به؟! .

إن طرق المغريات المادية والمعنوية لم تنزل مفتوحة أمام طلاب الدنيا ، وما على الإنسان الذي يريد المطامع الدنيوية إلا أن يشير ولو إشارة إلى امتعاضه من المظاهر الإسلامية ، ويتهجم على هذا التيار من الفهم والتفكير الذي يحس ويلمس بين الجماهير المسلمة؛ حتى يُحْتَضَن وترفع درجته لينصب إما أديباً عبقرياً ، أو مفكراً مستنيراً جريئاً ، وبعد أن يكون نكرة فقيراً مطويماً في برائن الإهمال والضعف؛ يصبح معرفة غنياً طافياً على سطح المجتمع.

إن تفسير رجوع الناس إلى دينها هذا التفسير الفج مثل تفسير كارل ماركس للتاريخ ، وبقدر تهافت الماركسية وانهيارها؛ سنتها هذه التفسيرات والتحليلات إن شاء الله. وهذا التفسير والتفسير المادي للتاريخ هو نفسه تفسير المستشرقين والمستغربين للفتوح الإسلامية بأنها فتوحات وهجرات اقتصادية خرج فيها العرب من جزيرتهم تحت ضغط الحاجة ، وانساحوا في البلاد للنهب والسلب لتحسين وضعهم الاقتصادي! وهكذا تجرد هذه الموجات الكاسحة من الشباب المسلم من أي دافع مشروع ،

ومن أي هدف نبيل ، وتشوه صورتها لتبدو موجات مسعورة ، تنشر الفوضى والتخريب ، ليكون ذلك مسوغاً لضربها أو علاجها بكافة الطرق ، تجرد هذه الجماهير من الأحفاد كما جردت أجدادها من الغايات السامية ، والأهداف العظيمة ، وتصاغرت تضحياتهم ودمائهم المسفوحة في كل ربوة ، وفوق كل ثرى لتكون من أجل البحث عن لقمة الخبز فقط ، أما سبيل الله ، والجنة ، وجزاء الصابرين ، وغسل العار ، والعزة الإيمانية ، وحرب الظلم والطغيان ، والرباط ، والشهادة ، ومن هو في سبيل الله ، ومن هو في سبيل الشيطان. كل ذلك لا قيمة له ولا وجود له في نظر علماء الاجتماع الذين يبحثون في الظواهر الإسلامية وهم يعيشون خارجها. ولكن أنى لإنسان أن يصف لك ألمك كما تشعر به حتى ولو كان طبيباً أليماً؟

تشتكى ما اشتكى من ألم الشوق إليها والشوق حيث النحول
وإذا خامر الهوى قلب صب فعليه لكل عين دليل

مفاهيم إسلامية الدين والدنيا

محمد العبد

وترى الدنيا انطوت في كسبه
ليس فيها ذرة في قلبه

(إقبال)

كيف اختل التوازن؟!

لا شك عندنا أن الصحابة رضوان الله عليهم هم القدوة وهم النموذج في فهم الإسلام، وأقوالهم وأفعالهم هي التي تدل على هذا الفهم ، وبالرجوع إلى سيرتهم نجد أن حياتهم كانت طبيعية ليس فيها تكلف وتعمق ، يأخذون بالأسباب في الكسب من تجارة وزراعة أو عمل يدوي ، ويخصصون جزءاً من أوقاتهم للعلم ، وإذا دعا داعي الجهاد فهم الرجال، وفيهم الأغنياء دون بطر، والفقراء مع التعفف، كانوا أبعد الناس عن التهالك على الدنيا، فتحوا البلدان وأنشئوا المدن ، وأقاموا الدول.

الخلل إذن جاء بعدهم ، جاء من يقول : إن الدنيا ضرة الآخرة وليست طريقاً لها ، وأشاع الزهد بمعنى ترك الدنيا وعدم الاهتمام بها ، ويمكن أن نعدد بعض الظواهر التي أدت إلى هذا الخلل :

١- الزهد الأعجمي :

نقل الصوفية إلى المجتمع الإسلامي ، فلسفات الهند في تعذيب الجسد وحب (الفقر) كما نقلوا رهبانية النصارى ، وروجوا هذه البضاعة باسم الزهد المشروع ، وحاولوا تأييد هذه (الرهبنة) بذكر ما كان عليه الجيل الأول من السمو حيث لم تكن الدنيا في قلوبهم وراحوا يذمون الدنيا بمناسبة وبغير مناسبة، وساعدهم على ذلك القصاص الجهلة ، الذين وجدوا الكلام في هذا الموضوع من الأشياء المحببة لدى الجماهير ، وهكذا أصبحت مرتبة الزاهد الذي لا يتكسب ويعيش في زاوية أو رباط هي أعلى المراتب، وسمع المسلمون وأعجبوا بمن يقول: "لو أن الدنيا بحذاقيرها عرضت علي حلالاً ولا أحاسب بها في الآخرة لكنت أتقدرها كما يتقدر الرجل الجيفة" (١).

ووضع هؤلاء الصوفية كلام الله سبحانه وتعالى عن الدنيا أو كلام الرسول -صلى الله عليه وسلم- في غير موضعه ، ولم يفهموه حق الفهم ، وقد أدبنا الله سبحانه وتعالى في القرآن بأن نذكر القضية

ونقيضها حتى يتم التوازن ، فلا يذكر عذاب النار إلا ويذكر نعيم الجنة ، ولا يذكر الفجار إلا ويذكر الأبرار ، فعندما ندم الدنيا يجب أن نبين على أي شيء يقع الذم. يقول الشيخ رشيد رضا: "ومن أضر ما حدث بعد الخلفاء الراشدين الغلو في التزهيد، وحمل الناس على الاعتقاد بأن الدنيا ضرة الآخرة على الإطلاق، ومن أكبر المصائب أن هذا التعليم كان يدين الخطباء والوعاظ، فزرع أهله في قلوب الأمة الإسلامية فسيل الكسل، وما التكايا التي أحدثها المسلمون إلا كالأديار عند النصارى" (٢). "والذين لبسوا لبوس الصالحين نفثوا في الأمة سموم المبالغة في التزهيد، وأكثرهم يريد إنفاق كسب الكاسيين عليهم وهم كسالى لزعمهم أنهم بحب الله مشغولون" (٣).

هؤلاء البطالون الذين لا يريدون الكد والتعب، ويتخوفون الصراع مع الأعداء ، يلجئون إلى حيلة الزهد والانزواء وكيف يكون إذن التمكين في الأرض والحكم بشريعة الإسلام ، وهذا كله يختلف عن الاغترار بالدنيا والانغماس في شهواتها.

٢- الخلل في فهم طبيعة الإنسان :

قد يظن بعض الناس أن الأمور الدنيوية أو اللذات الحسية هي نقص في الإنسان بتأثير من الفلاسفة الذين يفكرون تفكيراً خيالياً ، ورهبان النصارى الذين يستقذرون الأمور الحسية وهذا غير صحيح ، بل هي بوجه من الوجوه كمال إذا لم تطغ، وإذا لم تصرفه عن الآخرة "والدليل على أن اللذات الجسدية ليست نقصاً: أن عالم الآخرة لا يخلو منها ، فهو عالم يكون الإنسان بهخ في أعلى أوج الكمال ، فيستوفي جميع اللذات الروحية والجسدية من غير عناء ولا شقاء ولا جهاد ولا بلاء" (٤) ومن هذا الباب يشنع النصارى على نبينا عليه الصلاة والسلام كثرة الزواج، ويحاول بعض المسلمين الرد عليهم بأساليب تبريرية، فالأكل والشرب والزواج ليست عيباً في الإنسان ، لأن طبيعته ليست من جنس الملائكة.

٣- أسباب نفسية:

عندما يفشل بعض الناس في الحياة ولا يستطيعون إعمار الدنيا بالخير والتمكن فيها ، واستخلاصها من أيدي الكفار ، عندنا يلجئون إلى حيلة نفسية وهي التركيز على الزهد، وإقناع النفس أن نعيم الدنيا زائل، والكفار لهم الدنيا ونحن لنا الآخرة، وربما في دخائلهم يحبون الدنيا حباً جماً ، لقد انتشر التصوف وازداد بعد ضعف الدولة الإسلامية أو فشلها في الوقوف أمام زحف التتار، فكثر الزواجا والربط والهروب السلبي من متطلبات الكفاح.

عودة إلى المفهوم الإسلامي :

١ - إن ما جاء عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- من ذكر للدنيا لا يفهم منه إلا التحذير أن يتنافسها المسلمون فتهلكهم، وإلا أنها لا تساوي شيئاً بالنسبة للآخرة لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- اشتغل بها، فقد دعا وجاهد وأسس دولة الإسلام، وكان بعض كبار الصحابة من الأغنياء، ولم يدعهم الرسول -صلى الله عليه وسلم- إلى ترك المال وترك الاشتغال بالتجارة. وكذلك ذم الدنيا الوارد على لسان بعض العلماء "إنما هو راجع إلى أفعال بني آدم التي تقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته" (٥).

٢- ربما يتكالب الناس على الدنيا في زمن معين أو في بلد معين ، فيأتي عالم رباني ويتكلم عن الدنيا وموقعها بالنسبة للآخرة وذلك فيما يرد الناس إلى التوسط والتوازن، فهذا صحيح وهذا يختلف عن الذي يجعل الفقر هو الأصل ، ويذم الدنيا دائماً.

ذكر الخلال في كتابه (الحث على التجارة) حديثاً عن عائشة رضي الله عنها قالت : "كان أبو بكر رضي الله عنه أتجر قریش حتى دخل في الإمارة" ثم أتى برواية عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه لم يستطع الجمع بين التجارة والعبادة ، وقد علق محقق الكتاب أن الخلال ساق أثر أبي الدرداء ليبين أنه حالة خاصة بمن لديه سعة من المال لينفق على العيال ثم ساق كلام الذهب (الأفضل الجمع بين الأمرين).

٣ - الإسلام يحث على العمل والكسب: قال سفيان بن عيينة : "ليس من حب الدنيا أن تطلب منها ما يصلحك" وعن الإمام أحمد بن حنبل "أحب الدراهم إلي درهم من تجارة ، وأكرهها عندي الذي من صلة الإخوان" (٦).

وعن سعيد بن المسيب : " لا خير فيمن لا يطلب المال يقضي به دينه، ويصون به عرضه، ويقضي به ذمامه ، وإن مات تركه ميراثاً لمن بعده" (٧).

وقد جاء في القرآن عن داود عليه السلام : ((وَعَلَّمَآهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ)) [الأنبياء: ٨٠] ، وصح عن زكريا عليه السلام أنه كان نجاراً، وأما ما اشتهر بعدئذ من احتقار للمهن، فهذا شيء أتى به المسلمون من قبل الفلاسفة اليونانيين الذين كانوا يعظمون العمل العقلي ويحتقرون المهن، ويرتبون المجتمع طبقات حسب أهوائهم ، إن كتب بعض العلماء توحى بالاحتقار للمهن كقول الإمام الماوردي : "وأشرف الصناعات صناعة الفكر وأرذلها صناعة العمل" (٨) وهذا قد يكون من أسباب تخلف المسلمين في الصناعة في الوقت الذي تقدم فيه الأوروبيون واستعمروا العالم.

٤ - إن الاستمتاع بالدنيا وملاذها والترفيه فيها وإن كان بالحلال ، ولكنه يوشك أن يؤدي بالمؤمن إلى حبها والتعلق بها، فالمؤمن يبقى على حذر منها ويبتعد عن مواطن الزلل والشبهات ، ويعود نفسه على العيش الخشن حتى يكون على استعداد للجهاد في أي وقت ، وهذا لا يمنع من لبس الثوب الحسن والنعل الحسن كما سأل أحد الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم- عن التجمل بهذا وحبه للنظافة في مسكنه وثوبه فقال الرسول صلى الله عليه وسلم:- "إن الله جميل يحب الجمال" وهذا لا ينقص درجته عن الذي يفضل الخشونة في مأكله أو ملبسه. وأما الآية ((أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا)) [الأحقاف: ٢٠] قال الشيخ الشنقيطي في تفسيرها: "التحقيق إن شاء الله في مثل هذه الآية هو أنها في الكفار وليست في المؤمنين الذين يتمتعون بالذات التي أباحها الله لهم لأنه تعالى ما أباحها لهم ليذهب بها حسناتهم" (٩).

وقال سعيد بن جبیر: متاع الغرور ما يلهيك عن طلب الآخرة ، وما لم يلهك فليس بمتاع الغرور ، ولكنه متاع بلاغ إلى ما هو خير منه.

والخلاصة أنه لا بد من التوازن الدقيق في هذه المسألة ، فلا تكن الدنيا أكبر همنا ، وفي نفس الوقت لا نعثر بترهات الصوفية وتخبطات القصاص الوعاظ ، ونحن لا نريد تضخيم دور المال ولكن واقع البشرية اليوم يقول إن للاقتصاد دور بالغ ، ونعم المال الصالح للعبد الصالح ، وكيف تقوى الدعوة الإسلامية دون أخذ الأسباب ، وكيف نريد من شعوب تعيش على قنات موائد الغرب أن تنهض وتساعد في إقامة حكم الله في الأرض. ولهذا قلنا: إنها معادلة صعبة .

الهوامش:

١ - شرح حديث الزهد لابن رجب / ٧٥.

٢ - المنار : ٣٣ / ١٧٥.

- ٣ - المنار : ٣٨٣،/٤
 ٤ -- المنار ٣،/١٠٠
 ٥ - شرح حديث الزهد لابن رجب / ٤٧،
 ٦ - أبو بكر الخلال: الحث على التجارة والصناعة / ٣٥ ، تحقيق محمود بن محمد الحداد.
 ٧ - المصدر السابق/، ٨٠
 ٨ - أدب الدنيا والدين ، تحقيق د. محمد صباح/، ٢٤٣
 ٩ - أضواء البيان ٣٩٣/٧.

فتاوى في الصيام

أعدّها وجمعها: محمد صالح المنجد

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله، وصحبه أجمعين، وبعد:
 فهذه طائفة من أحكام الصيام، مجموعة من كلام أهل العلم، من المتقدمين والمتأخرين، بطريقة
 السؤال والجواب.

س : ما هو فضل الصيام؟

ج : في ذلك آيات وأحاديث كثيرة ، منها قوله تعالى: ((إِنَّمَا يُؤَقِّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ))
 قال أهل التفسير: هم الصائمون.

وقال صلى الله عليه وسلم- : «إن في الجنة باباً يقال له الريان : يدخل منه الصائمون يوم القيامة ،
 لا يدخل منه أحد غيرهم ، يقال : أين الصائمون؟ ، فيقومون فيدخلون منه، فإذا دخلوا أغلق فلم
 يدخل منه أحد» (وفي رواية: من دخل شرب ، ومن شرب لم يظمأ أبداً) [صحيح الجامع الصغير
 ، رقم ٢١٢١ ، وانظر صحيح الترغيب ١/٤١٠].

وفي الصحيحين ، قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «قال الله عز وجل ، كل عمل ابن آدم له
 (وفي مسلم : يضاعف الحسنة بعشر أمثالها ، إلى سبعمائة ضعف) إلا الصوم ، فإنه لي وأنا أجزي
 به ، والصيام جنة» (وفي رواية صحيحة: يستجن به العبد من النار).

وفي حديث يحيى بن زكريا: «وأمركم بالصيام ، ومثل ذلك كمثل رجل معه صرة مسك في عصابة
 ، كلهم يجد ريح المسك ، وإن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» [صحيح الجامع
 الصغير رقم (١٧٢٠)].

س : ما حكم من صام رمضان استشفاء من مرض أو تخفيفاً للوزن؟

ج : إن اقتصرت نيته على هذا فليس له في الآخرة من نصيب ، قال تعالى: ((مَنْ كَانَ يُرِيدُ
 الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ
 وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا)) [الإسراء/١٨-١٩].

ويجب أن تكون نية المؤمن مطابقة لحديث رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «من صام رمضان إيماناً
 واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه» [صحيح الترغيب ١/٤١٥] وينبغي على الدعاة أن يبينوا للناس
 معنى كلمة (احتساباً) ويدعوا ذكر الفوائد الدنيوية للمؤلفة قلوبهم.

س : كيف يحكم بدخول شهر رمضان؟..

ج : بأحد أمرين :

- الأول : رؤية هلاله ، لقوله تعالى: ((فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ)) فإذا أعلن ثبوته مصدر موثوق وجب العمل بذلك.

- الثاني : إكمال شعبان ثلاثين يوماً، ولا مانع من توالي شهرين أو أكثر في السنة الهجرية كل منها ٢٩ يوماً أو ٣٠ يوماً.

س : إذا أسلم الكافر، أو بلغ الصبي، أو شفي المريض، أو أقام المسافر، أو طهرت الحائض، أثناء النهار في رمضان فماذا يجب عليهم من جهة الإمساك والقضاء؟

ج : إذا أسلم الكافر ، أو بلغ الصغير ، أثناء النهار لزمهما إمساك بقية اليوم وليس عليهما قضاؤه، ولا قضاء الأيام التي قبله من الشهر، لأنهما لم يكونا من أهل الوجوب عند الإمساك.

- وإذا شفي المريض ، أو أقام المسافر ، أو طهرت الحائض ، فالأحوط الإمساك بقية اليوم (للخلاف في المسألة) وعليهم قضاء هذا اليوم ، وما فاتهم قبله. والفرق بين القسمين: أن القسم الأول تحقق لديهم الشرط أما القسم الثاني فقد زال عنهم المانع.

س : متى يؤمر الصبي بالصيام؟

ج : قال الخرقي : وإذا كان الغلام عشر سنين ، وأطاق الصيام أخذ به.

قال ابن قدامة: واعتباره بالعشر أولى ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم- أمر بالضرب على الصلاة عندها ، واعتبار الصوم بالصلاة أحسن لقرب إحداها من الأخرى ، واجتماعهما في أنهما عبادتان بدنيتان من أركان الإسلام ، إلا أن الصوم أشق فاعتبرت له الطاقة ، لأنه قد يطيق الصلاة من لا يطيقه. [المغني مع الشرح ٩٠/٣] .

فما بالك أيها الأخ المسلم بمن يمنع أولاده من الصيام رحمة بهم بزعمه!!

س : رجل بلغ من الكبر عتياً ، وأصبح لا يعرف أولاده ، ولا الجهات الأصلية ، فماذا عليه في الصوم؟

ج : إذا كان الواقع ما ذكر ، فليس عليه صلاة ولا صيام ولا إطعام. وإذا كان يعود إليه عقله أحياناً ، ويذهب أحياناً ، فإذا عاد إليه صام ، وإذا ذهب عنه سقط عنه الصيام.

س : ما حكم الصيام للمريض؟

ج : إذا ثبت بالطب أن الصوم يسبب هلاك المريض فلا يجوز له الصيام ، أما إن ثبت أن الصوم يجلب المرض له أو يضر بالمريض بزيادة مرضه أو تأخير شفائه أو يؤلمه أو يشق عليه الصيام ، فالمتسحب له أن يفطر ثم يقضي.

س : شخص مصاب بقرحه في معدته ، ونهاه الطبيب عن الصيام مدة خمس سنوات. فما الحكم؟

ج : إذا كان الطبيب الذي نهاه عن الصوم ثقة مأموناً خبيراً في طبه ، فيتعين السمع والطاعة لنصحه ، وذلك بإفطاره في رمضان حتى يجد القدرة والاستطاعة على الصوم ، لقوله تعالى: ((فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)) فإذا شفي من مرضه ، تعين عليه صوم أشهر رمضان التي أفطرها.

س : ما حكم العاجز عن الصيام عجزاً كلياً لمرض لا يرجى شفاؤه أو لكبر سنه؟

ج : عليه أن يطعم عن كل يوم مسكيناً ، نصف صاع من قوت البلد ، (مثال : قرابة ١ كغ من الأرز) يدفعها في أول الشهر كما فعل أنس رضي الله عنه ، ويجوز أثناءه أو في آخره.

س : رجل مريض أخبره الأطباء أن شفاؤه ممكن ، فهل يجزئه الإطعام؟

ج : لا يجزئه الإطعام ، ويجب عليه الانتظار حتى يشفى ثم يقضى.

س : رجل مريض ينتظر الشفاء ليصوم ، فمات ، فماذا عليه؟

ج : ليس عليه شيء لأن الصيام حق لله تبارك وتعالى ، وجب بالشرع ومات من يجب عليه قبل إمكان فعله فسقط إلى غير بدل كالحج.

س: شخص صام جزءاً من رمضان ثم عجز عن إكمال الباقي ، فماذا يعمل؟

ج : إن كان عجزه لأمر طارئ يزول ، انتظر حتى يزول ثم يقضى ، وإن كان عجزه لأمر دائم ، فإنه يطعم عن كل يوم مسكيناً كما تقدم.

س : ما حكم الصوم للمسافر؟

ج : إذا شق عليه الصوم في السفر فالأفضل أن يأخذ بالرخصة فيفطر. وإن لم يشق عليه صام والفطر جائز.

س : متى يفطر الصائم؟

ج : في ذلك حديثان :

- الأول : حديث أنس رضي الله عنه أنه أفطر على دابته قبل أن يخرج وقد تهيأ للرحيل.

- الثاني : حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الصحيحين ، قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ عسفان ، ثم دعا بماء فرفعه إلى يديه ليراه الناس ثم أفطر. فالأحوط أن لا يفطر المسافر إلا إذا خرج من بلدته وفارق البيوت.

س : رجل قرر في إحدى الليالي من رمضان أن يسافر غداً في النهار ، فهل يجوز له أن يبيت نية الإفطار؟

ج : لا يجوز له ذلك ، بل ينوي الصيام ، لأنه لا يدري ما يعرض له ، فقد لا يستطيع السفر ، فإذا سافر أفطر إن شاء كما تقدم.

س : رجل أراد مواصلة أهله في رمضان ، فسافر من أجل ذلك؟

ج : فعله حرام ، لأنه قصد التحايل ، وهو آثم ولا يجوز له الفطر ((يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ)).

س : هل يجوز الإفطار في المطار؟

ج : إن كان المطار داخل البلد أو في حدودها فإنه ينتظر حتى تقلع الطائرة وتبتعد ، ثم يفطر ، وإن كان المطار خارج البلد ، جاز له الفطر في المطار.

س : غربت الشمس في المطار فأفطرنا بعد الصيام ، فلما أقلعت الطائرة وارتفعت رأينا الشمس مرة أخرى ، فما حكم الصيام؟

ج : الصيام صحيح ، لأنه عليه الصلاة والسلام قال : «إذا أقبل الليل من هاهنا ، وأدبر النهار من هاهنا وغربت الشمس فقد أفطر الصائم» [متفق عليه].

س : من صام في بلد ، ثم سافر إلى بلد آخر ، صام أهله قبله أو بعده ، فماذا يفعل؟

ج : يفطر بإفطار أهل البلد الذين ذهب إليهم ، ولو زاد على ثلاثين يوماً (بالنسبة له) لقول النبي - صلى الله عليه وسلم- : «الصوم يوم تصومون ، والفطر يوم تفطرون» [رواه الترمذي وهو حديث صحيح]. لكن إن لم يكمل تسعة وعشرين فعليه إكمال ذلك الشهر (بعد يوم العيد) ، لأن الشهر لا ينقص عن تسعة وعشرين يوماً.

س : صامت امرأة ، وقبل الغروب بلحظات خرج منها الدم ، فما حكم صيامها؟

ج : إن خرج فعلاً ، فقد بطل الصوم وهي مأجورة ، وتقضي بدلاً منه ، أما إن أحسَّت به داخل الجسم ولم يخرج ، أو خرج بعد الغروب ، فصيامها صحيح.

س : امرأة طهرت قبل الفجر في رمضان ، ولم تغتسل إلا بعد الفجر ، وكذلك رجل أصبح جنباً ولم يغتسل إلا بعد الفجر ، فما حكم صيامهما؟

ج : صيام المرأة المذكورة صحيح ، وكذلك صيام الجنب ، لحديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه : « كان النبي صلى الله عليه وسلم - يدركه الفجر وهو جنب من أهله ، ثم يغتسل ويصوم » . وكذلك النفساء مثل الحائض في الحكم إذا طهرت قبل الفجر . ولكن يجب التعجيل بالاعتسال لإدراك صلاة الفجر .

س : هل يجوز للمرأة استعمال حبوب لمنع الحيض في رمضان؟

ج : يجوز أن تستعمل المرأة أدوية لمنع الحيض في رمضان إذا قرر أهل الخبرة الأمان من الأطباء ومن في حكمهم أن ذلك لا يضرها . وخير لها أن تكف عن ذلك ، وقد جعل الله لها رخصة في الفطر ، إذا جاءها الحيض في رمضان وشرع لها قضاء الأيام التي أفطرتها ورضي لها بذلك ديناً .

س : شخص لم يدر أن رمضان قد دخل ، إلا في صباح اليوم التالي ، فماذا يعمل؟

ج : يمسك ذلك اليوم ، ويقضي يوماً بدلاً منه ، لقوله صلى الله عليه وسلم - : « لا صيام لمن لم يفرضه من الليل » [صحيح الجامع الصغير رقم (٧٥١٦)] .

س : ما هي المفطرات؟

ج : ذكر شيخ الإسلام رحمه الله : أن من المفطرات ما يكون من نوع الاستفراغ : كالجماع والاستقاء ، والحيض والاحتجام . ومنها ما يكون من نوع الامتلاء : كالأكل والشرب (وما في معناها كالحقن المغذية) ومن الخارجات نوع لا يقدر على الاحتراز منه : كالأخبثين ، وإذا خدعه القيء والاحتلام في النوم ، وخروج الدم من الجروح ، والاستحاضة ، بخلاف ما إذا استقاء عمداً أو استمنى عمداً . [الفتاوى ٢٥ / ٢٦٥] .

والمفطرات (ما عدا الحيض والنفاس) لا تفسد الصوم إلا إذا فعلها الشخص مختاراً غير مكره ، ذاكراً غير ناس ، عالماً غير جاهل .

س : ما حكم قطرة العين والأذن؟

ج : لا تفتقر كما ذكر أهل العلم ، وكذلك : الطيب والكحل ، وأخذ الدم للتحليل ، والرعاف ، والحقنة الشرجية ، والإبر غير المغذية ، والغبار ، وذوق الطبخ للطعام دون دخوله إلى جوفه ، ومن تميمض فدخل الماء رغماً عنه إلى جوفه ، ودواء الربو الذي يؤخذ بطريق الاستنشاق ، وبلع الريق . وكذلك السواك فهو جائز في جميع أجزاء النهار .

س : ما حكم التقبيل في نهار رمضان؟

ج : إذا عرف الشخص من نفسه أنه إذا قبّل لا يخرج منه شيء ، جاز له التقبيل ، كما ورد في الصحيحين أنه صلى الله عليه وسلم - كان يقبل وهو صائم ، أما إذا كان يعلم من عادته أنه سينزل ، أو لا يضمن نفسه ، فلا يقبل ، لأنه إذا أنزل عند التقبيل أو اللمس فقد فسد صيامه .

س : ما حكم بقايا الطعام في الفم ، وفتات السواك ، واستخدام معجون الأسنان؟

ج : إذا طلع الفجر عليه فعليه إخراج بقايا الطعام من فيه ولايجوز بلعها . وكذلك لا يجوز بلع فتات السواك ، وإذا وصلت إلى حلقه رغماً عنه ، فليس عليه شيء . وكذلك الدم الخارج من اللثة لا يفطره إذا بلغ جوفه دون قصد . أما بالنسبة لمعجون الأسنان فإنه لا يخلو من حالين :

أحدهما : أن يكون قوياً ، ينفذ إلى المعدة ولا يتمكن الإنسان من ضبطه ، فهذا محظور عليه ، ولا يجوز له استعماله ، وعلى الأقل فهو يكره .

أما إذا كان يمكنه أن يتحرز منه ، فإنه لا حرج عليه في استعماله ..

س : ما حكم الأكل والشرب أثناء الأذان؟

ج : إن سمع الأذان وعلم أنه يؤذن على الفجر ، وجب عليه الإمساك ، وإن كان يؤذن قبل طلوع الفجر ، لم يجب عليه الإمساك حتى يتبين له الفجر ، وإن كان لا يعلم حال المؤذن هل أذن قبل الفجر أو بعده ، فالأولى والأحوط أن يمسك إذا سمع الأذان ، ولا يضره لو شرب أو أكل شيئاً حين الأذان لأنه لم يعلم بطلوع الفجر ، لكن عليه أن يحتاط بالتقويماً التي تحدد الوقت بالساعة والدقيقة.

س : ماذا يفعل من غربت الشمس وهو يقود سيارته ، وليس عنده ما يفطر به؟

ج : ينوي الفطر بقلبه ، ولا يفعل كبعض الجهال : يمص أصبعه أو يبلع ريقه.

س : لم يخبر أمه بطلوع الشمس شفقة عليها حتى يتسنى لها الشرب ، فما الحكم؟

ج : الأحوط أن تعيد الصيام ، ويستغفر هو ويتوب.

س : إذا رأى شخص صائماً يأكل ناسياً ، فهل يجب عليه أن يذكره؟

ج : نعم يجب عليه ذلك لعموم قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح : «إذا نسيت فذكروني» ولأنه بالنسبة للمشاهد يعتبر منكراً يجب تغييره ، ولأنه من باب التعاون على البر والتقوى.

س : ما حكم التهئة بدخول شهر رمضان؟

ج : لا حرج في ذلك.

نسأل الله أن يعيننا وإخواننا المسلمين على صيامه وقيامه كما يحب ويرضى ، والله تعالى أعلم.

المصادر :

-المغني مع الشرح الكبير - الجزء الثالث.

-مجموع الفتاوى لابن تيمية - الجزء الخامس والعشرون.

-مجالس شهر رمضان -للشيخ محمد بن صالح العثيمين.

-مجلة البحوث الإسلامية - العدد الرابع عشر.

-فتاوى مجلة الدعوة.

-فتاوى نور على الدرب - للشيخ عبد العزيز بن باز.

- فتاوى نور على الدرب - للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين.

خواطر في الدعوة الصحبة القديمة

محمد العبد

جاء في كتاب (فضائل الصحابة) أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه شكى خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد: «يا خالد لم تؤذي رجلاً من أهل بدر ، لو أنفقت مثل أحد ذهباً لم تدرك عمله» (١). وجاء في صحيح مسلم : "كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء ، فسبه خالد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم- :« لا تسبوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه» (٢).

ومع بقاء هذه الأحاديث على عمومها ، ولكن من الواضح أن رسول الله وجه خالداً رضي الله عنه إلى احترام صحبة معينة وهي الصحبة القديمة ، فهؤلاء لهم منزلة خاصة ، منزلة أوائل من أسلم وسار مع الدعوة في دربها الطويل من التعذيب والحصار والهجرة ، سار مع الدعوة في

السراء والضراء ، وكان مع الوحي الإلهي وهو ينتزل آية آية وسورة سورة ، هؤلاء الصحب هم أجدر الناس بحب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وتقديره لهم. والذين جاءوا بعد ذلك قد يكون فيهم من يملك طاقات ومواهب ويقدم خدمات جلى للدعوة الإسلامية ، ولكن يبقى للرعيل الأول منزلتهم ، والإسلام ليس فيه طبقة ولا كهنوت ، وكل يؤخذ من كلامه ويرد عليه ، وليس عندنا شيخ ومريد ، ولكن من له باع طويل في الدعوة ، والتقى ظاهر عليه فيجب أن يحترم ولا يتناول عليه من هو ناشئ غرّ ، والحقيقة أنه ليس أضر على العمل الإسلامي ، بل على الأمم من نشوء صراع بين الجيل القديم والجيل الجديد ، فلا يستفاد من خبرة أولئك ولا من حماسة هؤلاء.

وقد عاتب الله سبحانه وتعالى أهل بدر عتاباً شديداً بسبب اختلافهم حول الغنائم ، وكان هذا الخلاف بين الشباب والشيوخ ، فقال الشباب : نحن جمعنا الغنائم وطاردنا العدو ، وقال الشيوخ : ونحن كنا رداءً لكم ونحمي رسول الله-صلى الله عليه وسلم- ، فأنزل تعالى: ((يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ)) [الأنفال: ١]. فليحذر الدعوة من هذا المزلق ، الذي يتلبس باسم الأمر بالمعروف أو بشبهة استعجال الطريق ، أو قد يكون جهلاً بعواقب الأمور ، والعجيب أن يسبقنا الغربيون إلى هذه الفضيلة ، فلا يدعون فرصة تفوتهم إلا ويستفيدون من كبارهم وعقلائهم ، ولا يهملونهم بل إن هذا الأمر واضح عند العوام في بلادنا فيقولون :

"الذي ليس عنده كبير ، يشتري له كبير" أو "الذي ليس عنده كبير ما عنده تدبير". والمسلمون في هذه الأيام بأشد الحاجة إلى كل طاقة وكل خبرة ، ونرجو أن لا تتبدد بالخصومات المفتعلة .

الهوامش:

- ١ - الإمام أحمد بن حنبل / فضائل الصحابة ، تحقيق وصي الله بن محمد بن عباسي
- ٢ - صحيح مسلم ١٨٨/٧ .

أعلام الإسلام

ابن جرير الطبري إمام المفسرين

محمد محمد توفيق

هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري ، ولد سنة ٢٢٤ هـ ، في بلدة أمل عاصمة طبرستان ببلاد فارس.

عاش عصراً من أزهى عصور الإسلام تقدماً وإنتاجاً على جميع المستويات الفكرية ، فقد كان عصر جمع وتبويب وتصنيف ونقد ، ووضع قواعد عامة للعلوم ، واستقراء للجزئيات.

صفاته :

عفيف النفس ، لا يقبل الهدية إلا إذا كان يقدر على المكافأة عليها ، فيه زهد وورع وتقوى ، رفض المناصب التي عرضت عليه. كان يتمتع بعقلية واعية نيرة ، وحافظة لاقطة ، وقلب نابض بالإيمان ، وعقيدة متينة ، ونفسية مطمئنة ، وجرأة في الحق. حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين ، وأمّ الناس وهو ابن ثماني سنين ، وكتب الحديث وهو ابن تسع سنين.

برع في الفقه والحديث والقراءات والنحو والحساب وغيرها، ووهب العلم عمره . وماله ، شهد له الجميع بسعة العلم ودقة التفكير.

كان شافعي المذهب ، ثم انفرد بمذهب مستقل لم يكتب له الدوام، وذلك لذهاب مدوناته، وتفرق أصحابه وأتباعه.

رحلاته :

رحل إلى كل من الري ، والبصرة ، وواسط ، والكوفة ، وبغداد ، وبيروت ، ومصر ، طلباً للعلم وبدلاً له ، إلى أن مات ببغداد عام ٣١٠ هـ.

من شيوخه :

في الحديث : محمد بن حميد الرازي ، وهناد بن السري ، وإسماعيل بن موسى .

وفي التاريخ : محمد بن إسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن أحمد بن حماد الدولابي، ومحمد بن موسى الحرشي، وعماد بن موسى القزاز، ومحمد بن الأعلى الصنعاني، وبشر بن معاذ، ومحمد بن بشار بن بندار.

وفي الفقه : الحسن بن محمد الزعفراني ، وأبو سعيد الإصطخري ، والربيع بن سليمان الجيزي تلميذ الشافعي.

وفي اللغة: أحمد بن يحيى ثعلب ..

وغيرهم كثير من مختلف المذاهب ، ومن مختلف الأقطار.

تلاميذه :

تتلمذ عليه الكثير من أشهرهم: أبو بكر بن كامل بن خلف، وعبد العزيز بن محمد الطبري، وأبو إسحاق بن إبراهيم بن حبيب الطبري.

كتبه :

- جامع البيان عن تأويل القرآن (جامع البيان في تفسير القرآن) ، وقد اعتمد في تفسيره هذا على المأثور الذي صح عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أو الصحابة رضي الله عنهم ، أو التابعين ، وكان يهتم بالأسانيد وتقييم الرجال ، ويبتعد عن التفسير بالرأي ، ويعرض أوجه القراءات ، ويبتعد عن التعمق الفارغ والتفريعات الهامشية والتكهنات غير المفيدة ، ويستشهد على المعنى اللغوي بأحاديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- وكلام العرب وأشعارهم ، ويعتني بالإعراب فهو يوضح المعنى.

- تاريخ الأمم والملوك.

- كتاب آداب النفس الجيدة والأخلاق النفيسة.

- اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام.

- صريح السنة (يوضح فيه مذهبه وعقيدته) ..

- الفصل بين القراءات.

- آداب القضاة.

- فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

وغيرها كثير ، ومما يدل على ذكائه وحفظه أنه قال :

لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحنتني في العلم الذي يتحقق به ، فجاءني يوماً رجل ، فسألني عن شيء من العروض ، ولم أكن نشطت له قبل ذلك ، فقلت له : علي قول أن لا

أتكلم في شيء من العروض ، فإذا كان في غد فصر إلي ، وطلبت من صديق لي كتاب "العروض" للخليل بن أحمد ، فجاء به ، فنظرت فيه ليلتي ، فأمسيت غير عروضي وأصبحت عروضياً. رحم الله أبا جعفر وأسكنه فسيح جناته...

مصطلحات إسلامية

الصبر

إعداد : عادل التل

المعنى اللغوي :

الصبر: هو حبس النفس ، ويقال : صبرت نفسي على ذلك الأمر أي حبستها. قال عنتره عن نفسه :

فصبرت عارفةً لذلك حرة ترسو إذا نفس الجبان تَطَلَّعَ

والمصبورة: المحبوسة على الموت.

والصبير: الكفيل ، وإنما سمي بذلك لأنه يصبر على الغرم ، جاء في لسان العرب : صبر يصبر

صبراً ، فهو صابر وصبار وصبير وصبور ، والأنثى صبورا أيضاً.

قال الجوهري : الصبر حبس النفس عند الجزع.

والصبر الجراءة ، ومنه قول الله تعالى: ((فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ)) والصبر: الإكراه أيضاً.

وصبير القوم : زعيمهم المقدم في أمورهم.

والصبور: هو القادر على الصبر.

والتصبر: تكلف الصبر.

المعنى الاصطلاحي :

الصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه باختلاف مواقعه.

- فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً لا غير ، ويضاده الجزع.

- وإن كان في محاربة سمي شجاعة ، ويضاده الجبن.

- وإن كان في نائبة مضجرة سمي ربح الصدر ويضاده الضجر.

- وإن كان في إمساك الكلام سمي كتماناً ويضاده الذل.

- وإن كان في إمساك عن الطعام سمي صياماً.

وهكذا نستطيع أن نصف كل ما يحتاج إلى الثبات على شيء أو الإمساك

عن شيء صبراً.

والصبر والحلم قرينان ، لأن الحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب وضده الحماسة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند

الغضب» .

من أحكام المصطلح :

الصبر أساس الابتلاء في حياة الفرد والجماعة. يقول تعالى: ((وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ

وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ)) [البقرة: ١٥٥].

عندما يقف المسلم داعياً إلى الله تعالى ، يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويصدع بالحق الذي آمن به؛ فيتعرض للأذى والعذاب ، وتنزل به المحن والخطوب ، فلا بد من الصبر والثبات أو الانحراف والفساد.

يقول تعالى: ((أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ)) [العنكبوت: ٢-٣] .

يقول أحد الدعاة: الصبر زاد الطريق في هذه الدعوة ، إنه طريق طويل شاق ، حافل بالعقبات والأشواك ، مفروش بالدماء والأشلاء ، بالإيذاء والابتلاء.

الصبر على أشياء كثيرة :

- الصبر على شهوات النفس ورغائبها وأطماعها وضعفها.

-والصبر على شهوات الناس ونقصهم وضعفهم وجهلهم وسوء تصرفهم وانحراف طباعهم وغرورهم.

- والصبر على تنفج الباطل ، ووقاحة الطغيان ، وانتفاش الشر ، وتصعير الغرور والخيلاء.

- والصبر على قلة الناصر ، وطول الطريق ، ووساوس الشيطان في ساعات الكرب والضيق.

- والصبر على ضبط النفس في ساعة القدرة والانتصار ، واستقبال الرخاء في تواضع وشكر.

- والصبر على هذا كله - ومثله - مما يصادف السالك في هذا الطريق... لا تصوره الكلمات..

إنما يدرك هذا المدلول من عانى مشقات الطريق وتذوقها انفعالات وتجارب ومرارات. ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)) [آل عمران: ٢٠٠]

شذرات وقطوف

إعداد: نجوى محمد الدمياطي

العظمة الحقيقية

حين نعتزل الناس لأننا نحس أننا أطهر منهم روحاً، أو أطيّب منهم قلباً، أو أرحب منهم نفساً ، أو أدكى منهم عقلاً .. لا نكون قد صنعنا شيئاً كبيراً .. لقد اخترنا لأنفسنا أيسر السبل وأقلها مؤونة!.

إن العظمة الحقيقية : أن نخالط هؤلاء الناس مشبعين بروح السماحة والعطف على ضعفهم ونقصهم وخطئهم ، وروح الرغبة الحقيقية في تطهيرهم وتنقيتهم ورفعهم إلى مستوانا بقدر ما نستطيع!

إنه ليس معنى هذا أن نتخلى عن آفاقنا العليا ومثلنا السامية ، أو أن نتملق هؤلاء الناس ونثني على رذائلهم ، أو أن نشعرهم أننا أعلى منهم أفقاً.. إن التوفيق بين هذه المتناقضات وسعة الصدر لما

يتطلبه هذا التوفيق من جهد؛ هو العظمة الحقيقية.

سيد قطب - أفراح الروح

أهل العبودية

.. لم ينسبوا إلى اسم ... فلم يشتهروا باسم يعرفون به عند الناس من الأسماء التي صارت أعلاماً لأهل الطريق..

وأيضاً، فإنهم لم يتقيدوا بعمل واحد يجري عليهم اسمه فيعرفون به دون غيره من الأعمال فإن هذا آفة في العبودية، وهي عبودية مقيدة، وأما العبودية المطلقة: فلا يعرف صاحبها باسم معين من

معاني أسمائها ، فإنه مجيب لداعيها على اختلاف أنواعها ، فله مع كل أهل عبودية نصيب يضرب معهم بسهم ، فلا يتقيد برسم ولا إشارة ، ولا اسم بزى ، ولا طريق وضعي اصطلاحي... بل إن سئل عن شيخه؟ قال: الرسول ، وعن طريقه؟ قال : الاتباع ، وعن خرخته؟ قال : لباس التقوى ، وعن مذهبه؟ قال : تحكيم السنة ، وعن مقصوده ومطلوبه؟ قال: ((يُرِيدُونَ وَجْهَهُ)) وعن رباطه؟ قال: ((فِي بُيُوتِ الَّذِينَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ، رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ)) وعن نسبه؟ قال :

أبي الإسلام لا أب لي سواه إذا افتخروا بقيس أو تميم

ابن القيم - مدارج السالكين "بتصرف"

أنشودة رمزية

لقد حانت الساعة التي ينساب فيها شعاع الفجر الشاحب بين نجوم الشرق .
ستحمل إشعاعات الصباح الجديد ، ظل جهدك المبارك ، في السهل الذي تبذر فيه .
وسيحمل النسيم الذي يمر الآن البذور التي تنثرها يداك .. بعيداً عن ذلك .
ستتابع شمس الحق سيرها دون تراجع، وستعلن قريباً انتصار الفكرة وانهايار الأصنام ، كما حدث يوم تحطم "هبل" في الكعبة.

مالك بن نبي - شروط النهضة "بتصرف".

بحوث

الإمساك عما شجر بين الصحابة

محمد الوهبي

قال صلى الله عليه وسلم- :«إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا»(١). وهكذا كان من منهج أهل السنة الإمساك عن ذكر هفوات الصحابة وتتبع زلاتهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم . قال أبو نعيم رحمه الله : "فالإمساك عن ذكر، أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وذكر زللهم ، ونشر محاسنهم ومناقبهم، وصرف أمورهم إلى أجمل الوجوه ، من أمارات المؤمنين المتبعين لهم بإحسان الذين مدحهم الله عز وجل بقوله: ((وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ)).

ويقول أيضاً في تعليقه على الحديث المشار إليه : " لم يأمرهم بالإمساك عن ذكر محاسنهم وفضائلهم ، إنما أمروا بالإمساك عن ذكر أفعالهم وما يفرط منهم في ثورة الغضب وعارض الموجدة " (٢). إذاً الإمساك المشار إليه في الحديث الشريف إمساك بخصوص يقصد به "عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفاصيل ونشر ذلك بين العامة ، أو التعرض لهم بالتقص لفته ، والانتصار لأخرى " (٣). وذلك مما لم نؤمر به ، إنما أمرنا بالاستغفار لهم ومحبتهم ونشر محاسنهم وفضائلهم. "لكن إذا ظهر مبتدع ، يقده فيهم بالباطل فلا بد من الذب عنهم وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل" (٤).

وهذا مما نحتاجه في زماننا ، حيث ابتليت الأمة المسلمة بجامعاتها ومدارسها بمناهج - يزعم أصحابها الموضوعية والعلمية - يخوضون فيما شجر بين الصحابة بالباطل دون التأدب بالآداب التي

علمنا إياها عز وجل ورسوله صلى الله عليه وسلم- كذلك ابتليت بالفرق الضالة التي نشرت ذلك في بعض البلاد ، بل إن العدوى وللأسف- وصلت بعض الإسلاميين حتى إن بعضهم يجمع الغث والسمين من الروايات حول الفتنة التي بين الصحابة ثم يبني أحكامه دون الاسترشاد بأقوال الأئمة الأعلام وتحقيقاتهم . من أجل ذلك أردت أن أشير إلى بعض الأسس والتوجيهات التي ينبغي أن يعرفها الباحث إذا اقتضت الحاجة أن يبحث وينظر إلى الروايات فيما شجر بينهم.

١- إن الكلام عما شجر بين الصحابة ليس هو الأصل ، بل الأصل العقدي عند أهل السنة هو الكف والإمساك عما شجر بين الصحابة ، وهذا مبسوط في عامة كتب أهل السنة في العقيدة كالسنة لعبد الله بن أحمد بن حنبل ، والسنة لابن أبي عاصم ، وعقيدة أصحاب الحديث للصابوني ، والإبانة لابن بطة ، والطحاوية وغيرها. ويتأكد هذا الإمساك عند من يخشى عليه الالتباس والتشويش والفتنة وذلك بتعارض ذلك بما في ذهنه عن الصحابة وفضلهم ومنزلتهم وعدالتهم وعدم إدراك مثله "لصغر سنه أو حداثة عهده بالدين.. " لحقيقه ما حصل بين الصحابة واختلاف اجتهادهم في ذلك فيقع في الفتنة "بانتقاصه الصحابة" من حيث لا يعلم.. وذلك مبني على قاعدة تربوية تعليمية مقررة عند السلف وهي ألا يعرض على الناس من مسائل العلم إلا ما تبليغه عقولهم ، قال الإمام البخاري رحمه الله : "باب من خص بالعلم قوماً دون قوم كراهية ألا يفهموا ، وقال علي رضي الله عنه : حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟ قال الحافظ في الفتح تعليقاً على ذلك : "وفيه دليل على أن المتشابه لا ينبغي أن يذكر عند العامة ومثله قول ابن مسعود: "ما أنت محدثاً قوماً حديثاً لا تبليغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة" رواه مسلم.

وممن كره التحديث ببعض دون بعض أحمد في الأحاديث التي ظاهرها الخروج على السلطان ، ومالك في أحاديث الصفات ، وأبو يوسف في الغرائب.. " إلى أن قال : "وضابط ذلك أن يكون ظاهر الحديث يقوي البدعة وظاهره في الأصل غير مراد ، فالإمساك عنه عند من يخشى عليه الأخذ بظاهره مطلوب ، والله أعلم" (٥).

٢- وإذا دعت الحاجة إلى ذكر ما شجر بينهم فلا بد من التحقق والتثبت في الروايات المذكورة حول الفتن بين الصحابة ، قال عز وجل: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ)) هذه الآية تأمر المؤمنين بالتثبت في الأخبار المنقولة إليهم عن طريق الفساق لكي لا يحكموا بموجبها على الناس فيندموا ، فوجوب التثبت والتحقق فيما ينقل عن الصحابة وهم سادة المؤمنين أولى وأحرى ، خصوصاً ونحن نعلم أن مثل هذه الروايات دخلها الكذب والتحريف ، إما من جهة أصل الرواية ، أو تحريف بالزيادة والنقص يخرج الرواية مخرج الذم والطعن ، وأكثر المنقول من المطاعن الصريحة هو من هذا الباب ، يرويها الكذابون المعروفون بالكذب مثل أبي مخنف لوط بن يحيى ، ومثل هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، وأمثالهما (٦) ، من أجل ذلك لا يجوز أن يدفع النقل المتواتر في محاسن الصحابة وفضائلهم بنقول بعضها منقطع وبعضها محرف وبعضها لا يفدح فيما علم ، فإن اليقين لا يزول بالشك ، ونحن قد تيقنا ما ثبت في فضلهم ، فلا يفدح في هذا أمور مشكوك فيها فكيف إذا علم بطلانها(٧).

٣- أما إذا صحت الرواية في ميزان الجرح والتعديل وكان ظاهرها القدر فيلتمس لهم أحسن المخارج والمعاذير ، قال ابن أبي زيد: " .. والإمساك عما شجر بينهم وأنهم أحق الناس أن يلتبس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب"(٨). وقال ابن دقيق العيد: " وما نقل عنهم فيما شجر بينهم واختلفوا فيه ، فمنه ما هو باطل وكذب ، فلا يلتفت إليه ، وما كان صحيحاً أولناه تأويلاً حسناً لأن

الثناء عليهم من الله سابق ، وما ذكر من الكلام اللاحق محتمل للتأويل ، والمشكوك والموهوم لا يبطل المحقق والمعلوم" (٩) ، هذا بالنسبة لعموم ما روي في قدحهم.

٤ - أما ما روي على الخصوص فيما شجر بينهم ، وثبت في ميزان النقد العلمي فهم فيه مجتهدون "وذلك أن القضايا كانت مشتبهة ، فلشدة اشتباهاها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام :
أ- قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق في هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته ، وقتال الباغي عليه فيما اعتقدوه ففعلوا ذلك ، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل في قتال البغاة في اعتقاده.

ب - وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق مع الطرف الآخر ، فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغي عليه.

ج - وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضايا وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين ، وكان هذا الاعتزال هو الواجب في حقهم لأنه لا يحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك (١٠).

إذاً هذا القتال هم متأولون فيه ، لكل طائفة شبهة اعتقدت تصويب نفسها بسببها وذلك لا يخرجهم من العدالة بل هم في حكم المجتهدين في مسائل الفقه فلا يلزم نقص أحد منهم إنما هو بين أجر وأجرين. ومن المهم أن نعلم أن القتال الذي حصل بين الصحابة رضوان الله عليهم لم يكن على الإمامة ، فإن أهل الجمل وصفين لم يقاتلوا على نصب إمام غير علي ولا كان معاوية يقول إنه الإمام دون علي ولا قال ذلك طلحة والزبير... وإنما كان القتال فتنة عند كثير من العلماء بسبب اجتهادهم في كيفية القصاص من قاتلي عثمان رضي الله عنهم - ، وهو من باب قتال أهل العدل والبغي وهو القتال بتأويل سائق لطاعة غير الإمام لا على قاعدة دينية - أي ليس بسبب خلل في أصول الدين - (١١). ويقول عمر بن شبة : "إن أحداً لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا علياً في الخلافة ولا دعوا لأحد ليولوه الخلافة ، وإنما أنكروا على علي منعه من قتال قتلة عثمان وترك الاقتصاص منهم" (١٢). ومما يؤكد ذلك هذه الرواية التي ذكرها ابن كثير: "جاء أبو مسلم الخولاني وأناس إلى معاوية ، وقالوا: أنت تتنازع علياً أم أنت مثله؟ فقال : لا والله ، إني لأعلم أنه أفضل مني وأحق بالأمر مني ولكن أستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً ، وأنا ابن عمته ، والطالب بدمه ، فانتوه فقولوا له ، فليدفع إليّ قتلة عثمان ، وأسلم له ، فانتوا علياً ، فلكموه. فلم يدفعهم إليه (١٣)" وفي رواية : " فعند ذلك صمم أهل الشام على القتال مع معاوية" (١٤).

وأيضاً جمهور الصحابة ، وجمهور أفاضلهم ما دخلوا في فتنة ، قال عبدالله ابن الإمام أحمد: حدثنا أبي حدثنا إسماعيل بن علية حدثنا أيوب السختياني عن محمد بن سيرين قال : هاجت الفتنة وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم - عشرة آلاف فما حضرها منهم مائة ، بل لم يبلغوا ثلاثين". قال ابن تيمية: "وهذا الإسناد أصح إسناد على وجه الأرض ، ومحمد بن سيرين من أروع الناس في منطقته ، ومراسيله من أصح المراسيل" (١٥). فأين الباحثون المنصفون ليدرسوا مثل هذه النصوص الصحيحة؟ وتكون منطلقاً لهم ، لا أن يلطخوا أذهانهم بتشويفات الإخباريين ثم يؤولون النصوص الصحيحة حسب ما عندهم من البضاعة المزجاة.

٥- ومما ينبغي أن يعلمه المسلم حول الفتن التي وقعت بين الصحابة مع اجتهادهم فيها وتأولهم - حزنهم الشديد وندمهم لما جرى ، بل لم يخطر ببالهم أن الأمر سيصل إلى ما وصل إليه ، وتأثر بعضهم التأثر البالغ حين يبلغه مقتل أخيه ، بل إن البعض أيضاً لم يتصور أن الأمر سيصل إلى القتال ، وإليك بعضاً من هذه النصوص المؤثرة:

أفهدذه أم المؤمنين عائشة تقول -كما يروي عنها الزهري - : " إنما أريد أن يحجز بين الناس مكاني ، ولم أحسب أن يكون بين الناس قتال ، ولو علمت ذلك لم أقف ذلك الموقف أبداً" (١٦) ، وكانت إذا قرأت : ((وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)) تبكي حتى يبتل خمارها " (١٧).

ب -أما أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فيقول الشعبي: "لما قتل طلحة وراه علي مقتولاً ، جعل يمسح التراب عن وجهه ويقول : عزيز علي أبا محمد أن أراك مجدلاً تحت نجوم السماء ، ثم قال : إلى الله أشكو عجري وبجري (همومي وأحزاني) وبكى عليه هو وأصحابه ، وقال : يا ليتني مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة" (١٨) ، ويقول رضي الله عنه : " يا حسن يا حسن ، ما ظن أبوك أن الأمر يبلغ إلى هذا ، ود أبوك لو مات قبل هذا بعشرين سنة " (١٩). وكان يقول ليالي صفيين : "لله در مقام عبد الله بن عمر وسعد بن مالك (وهم ممن اعتزل الفتنة) إن كان بداً إن أجره لعظيم ، وإن كان إثماً إن خطره ليسير" (٢٠). فهذا قول أمير المؤمنين رغم قول أهل السنة إن علياً ومن معه أقرب إلى الحق (٢١).

ج -ويقول الزبير بن العوام رضي الله عنه وهو ممن شارك في القتال بجانب أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها ، فقال مولاه : أتسميها فتنة وتقاتل فيها؟ قال : ويحك! إنا نبصّر ولا نبصّر ، ما كان أمر قط إلا علمت موضع قدمي فيه ، غير هذا الأمر ، فإني لا أدري أمقبل أنا فيه أم مدبر؟" (٢٢).

وهذا معاوية رضي الله عنه ، لما جاءه نعي علي بن أبي طالب ، جلس وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وجعل يبكي ، فقالت امرأته ، أنت بالأمس تقاتله ، واليوم تبكيه؟ فقال : ويحك ، إنما أبكي لما فقد الناس من حلمه وعلمه وفضله وسوابقه وخيره ، وفي رواية "ويحك إنك لا تدريين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم" (٢٣).

وبعد كل هذه النقول كيف يلامون بأمور كانت مشتبهة عليهم؟ فاجتهدوا فأصاب بعضهم ، وأخطأ الآخرون وجميعهم بين أجر وأجرين ، ثم بعد ذلك ندموا على ما حصل وجرى ، وتابوا من ذلك ، وما حصل بينهم من جنس المصائب التي يكفر الله عز وجل بها ذنوبهم ، ويرفع بها درجاتهم ومنازلهم قال صلى الله عليه وسلم:- «لا يزال البلاء بالمؤمن حتى يسيّر في الأرض ليس عليه خطيئة» (٢٤) ، وعلى أقل الأحوال لو كان ما حصل من بعضهم في ذلك ذنباً محققاً ، فإن الله عز وجل يكفره بأسباب كثيرة من أعظمها الحسنات الماحية-من سوابقهم ومناقبهم وجهادهم -،والمصائب المكفرة، والاستغفار ، والتوبة التي بها يبذل الله عز وجل السيئات حسنات ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

٦ - وأخيراً نقول إن أهل السنة والجماعة لا يعتقدون أن كل واحد من الصحابة معصوم عن كبائر الإثم وصغائره ، بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة ، ولهم من السوابق والفضائل ما يوجب مغفرة ما يصدر منهم إن صدر ، ثم إذا كان قد صدر من أحدهم ذنب ، فيكون إما قد تاب منه ، أو أتى بحسنات تمحوه ، أو غفر له بسابقته ، أو بشفاعته محمد صلى الله عليه وسلم- الذي هم أحق الناس بشفاعته ، أو ابتلي ببلاء في الدنيا كفر به عنه ، فإذا كان هذا في الذنوب المحققة ، فكيف الأمور التي هم فيها مجتهدون إن أصابوا فلهم أجران ، وإن أخطئوا فلهم أجر واحد ، والخطأ مغفور. ثم إن القدر الذي ينكر من فعل بعضهم قليل نزر ، مغفور في جنب فضائل القوم ، ومحاسنهم من إيمان وجهاد وهجرة ونصرة وعلم نافع وعمل صالح (٢٥).

يقول الذهبي رحمه الله : "... فالقوم لهم سوابق ، وأعمال مكفرة لما وقع بينهم وجهاد محّاء وعبادة محصنة ، ولسنا ممن يغلو في أحد منهم ، ولا ندعي فيهم العصمة" (٢٦).

إذاً اعتقادنا بعدالة الصحابة لا يستلزم العصمة ، فالعدالة استقامة السيرة والدين ، ويرجع حاصلها إلى هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعاً ، حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه.. ثم لا خلاف في أنه لا يشترط العصمة من جميع المعاصي... " (٢٧).

ومع ذلك يجب الكف عن ذكر معائبهم ومساوئهم مطلقاً - كما مر سابقاً - ، وإن دعت الضرورة إلى ذكر زلة أو خطأ لأصحابي ، فلا بد أن يقترن بذلك ذكر منزلة هذا الصحابي وتوبته وجهاده وسابقته.. ، إن وجد شيء من ذلك ، فمثلاً من الظلم أن نذكر زلة حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه ، دون أن نذكر توبته وسابقته وأنه من أهل بدر ، ومن الظلم أيضاً أن نذكر ما عزا وزلته ولا نذكر توبته التي لو تابها صاحب مكس لقبل منه ، (٢٨) وهكذا فالمرء لا يعاب بزلة يسيرة حصلت منه في فترة من فترات حياته ، وتاب منها ، فالعبرة بكمال النهاية لا بنقص البداية إن كانت له حسنات ومناقب ، ولو لم يزره أحد ، فكيف إذا كثرت فيه التزكيات ، وكيف إذا زكاه خالقه ، الخبير بما في نفسه؟.

الهوامش:

- ١ - أخرج الطبراني في الكبير ٢/٧٨/٢
- ٢ - الإمامة/٣٤٧
- ٣ - منهج كتابة التاريخ ، محمد بن صامل السلمي ، ص ٢٢٧ ، ٢٢٨.
- ٤ - منهاج السنة ٣ / ١٩٢
- ٥ - فتح الباري ١ / ٢٢٥
- ٦ - انظر منهاج السنة ٣ / ١٧ ، ١٩
- ٧ - المصدر السابق ٣ / ٢٠٩ بتصريف.
- ٨ - مقدمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني ، ص ٨
- ٩ -- أصحاب رسول الله ومذاهب الناس فيهم / ٣٦٠ عبد العزيز العجلان.
- ١٠ - مسلم بشرح النووي ١٥ / ٤٩
- ١١ - فتح الباري ١٣ / ٥٦
- ١٢ - سير أعلام النبلاء ، الذهبي ٣ / ١٤٠ بسند رجاله.
- ١٣ - البداية والنهاية ٨ / ١٢٩
- ١٤ - منهاج السنة ٣ / ١٨٦ ، وراجع في نفس الموضوع نصوص أخرى تدل على قلة من حضر الفتنة من الصحابة .
- ١٥ - مغازي الزهري ، ١٥٤
- ١٦ - سير أعلام النبلاء ٢ / ١٧٧
- ١٧ - أسد الغابة ، ابن الأثير ٣ / ٨٨ ، ٨٩
- ١٨ - منهاج السنة ٦ / ٢٠٩ (محقق).
- ١٩ - المصدر نفسه ٦ / ٢٠٩ (محقق).
- ٢٠ - فتح الباري ١٢ / ٦٧
- ٢١ - تاريخ الطبري ٤ / ٤٧٦
- ٢٢ - تاريخ الطبري ٤ / ٤٧٦
- ٢٣ - البداية والنهاية ٨ / ١٤ ، ١٣٠
- ٢٤ - الترمذي ، رقم ٢٤٠١ ، قال : حسن صحيح.

- ٢٥ - انظر الواسطية بشرح هراس / ١٦٤ - ١٦٧ ،
 ٢٦ - سير أعلام النبلاء : ١٠ / ٩٣ ،
 ٢٧ - منهج المحدثين للأعظمي / ٢٣ - ٢٩ ،
 ٢٨ - الإمامة لأبي نعيم / ٣٤٠ ، ٣٤١ ، منهاج السنة ٢/٢٠٧ ، محقق.

كتاب في مقال

المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية

تأليف : عبد الله أحمد الشبانة

عرض : أحمد أبو عامر

من أعظم ما أصيب به المسلمون اليوم هو ما سيطر عليهم من روح الانهزام أمام أعداء الإسلام ، وضعف الهمة من بعث روح المقاومة والمغالبة ، والعجز عن مجرد التفكير في ذلك ، حتى بلغت أمتنا في ذلك مبلغاً من الانحطاط والتقهقر والتخلف لا نريد عليه... ونحن اليوم في أشد الحاجة إلى تعرية هذا المرض الخبيث الذي يقرب الموازين ويعكس المفاهيم حتى أصبحنا نظن العدو صديقاً ، والأبيض أسود ، والغاش ناصحاً ، والناصح غاشياً ، وهذا ما حدا بالمؤلف إلى علاج هذه الظاهرة المرضية في واقعنا ، وقبل أن يحدد معنى الهزيمة النفسية تطرق إلى مدخل لبيان أهمية معرفة هذه الظاهرة كبدية لعلاجها ثم عن مظاهر الهزيمة النفسية في ثلاثة أبواب: أولاً: في مجال الفكر ، وتطرق فيه للفكر التربوي ثم الفكر الإعلامي. ثانياً: في مجال النظم ، وتطرق فيه للنظامين الاقتصادي والسياسي. ثالثاً: في مجال السلوك ، وتطرق فيه للسلوك الفردي والسلوك الاجتماعي. ثم بين خطر هذه الظاهرة في محيط الفرد، ثم في محيط الأسرة ثم في محيط الجماعة والأمة . ثم تطرق المؤلف إلى أسباب هذه الظاهرة وعوامل تكوينها ، وأرجعها إلى أسباب وعوامل ذاتية ، ثم أسباب وعوامل خارجية. ثم تطرق المؤلف إلى طريق علاج هذه الظاهرة ووسائل القضاء عليها. ومما يجدر ذكره أن المؤلف استعرض الجهود العلمية والفكرية والتي سبقته لعلاج وبحث هذه الظاهرة في النفس والمجتمع ، ومن سبق إلى البحث فيها أمثال (شكيب أرسلان) في كتابه (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم) وكذلك أبو الحسن الندوي في كتابه (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ومالك بن نبي في (شروط النهضة) وأبو الأعلى المودودي في كتابه (واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم) و د.ناصر العقل في كتابه (التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية) وهو لم يطبع بعد طبعته الأولى ، وهذه فرصة للدعوة لإعادة طبع الكتاب لأهميته في هذا الباب... وغيرها من الأبحاث الهامة في هذا الباب.

وقد وضع طرق علاج هذه الظاهرة ووسائل القضاء عليها في بابين :

- ١ - طريق التربية والتعليم .
 - ٢ - طريق التوجيه والإرشاد (الإعلام).
- وفي خاتمة الكتاب جمع المؤلف خلاصة ما تضمنه البحث من أبواب وفصول ، وأكد أنه كبير الأمل وعظيم الثقة في أن نجاحاً كبيراً سيتحقق من جراء الأثر الإيجابي للعلاج ، وأن شفاء الأمة من هذا

المرض سيتم بإذن الله من هذا الداء الخطير ، وستمضي بحول الله تعيد سيرة سلفها الصالح ، وأمجادها الغابرة ، ونبه إلى أن واجب كل مسلم واع مدرك للخطر منتبه لما يراد بالأمة وما تساق إليه بل ما سيقت له منذ أزمان أن يعمل بكل ما أوتي من قوة وبكل وسيلة ممكنة لتبصير الأمة بالأخطار التي هددها وتهدد كل فرد من أفرادها..

وأن واجب المسؤولين في كل دولة واجب مضاعف ، وخاصة مسئولو دينك المجالين المهمين : (التربية والإعلام) ثم نبه إلى نوع من الانهزامية لم يتطرق له لعدم دخوله في منهج البحث وهو ما تتعرض له الأمة في مجال الأدب ومناهج النقد عن طريق ما يسمى بالحدائث والتي انكشفت كل أوراق أديانها بما ظهر من دراسات علمية وموضوعية حول ذلك.

والكتاب دراسة يلمس فيها القارئ حسن القصد وحسن البحث ولن يعدم كل قارئ للكتاب من أصول ومعلومات علمية قيمة تزيد ثقافته وتناقش كثيراً من الشبهات المطروحة في الساحة بمنهج علمي جدير بالتقدير والاحترام .

تربية

التربية : الواقع والبديل

عدنان محمد عبد الرزاق

التربية أم التعليم :

حرصت معظم دول العالم في السنوات الأخيرة على تسمية المؤسسات والوزارات المهمة بشئون التعليم بالتربية بدلاً من التعليم ، وبعضهم قرن التربية بالتعليم حرصاً منهم على أهمية التربية ، وعلى أن التعليم جزء من التربية ، والتربية أعم وأشمل.

وهذه حقيقة أدركها سلفنا الصالح إذ كانوا يسمون معلم الأولاد: المؤدب والمربي. وهنا يحضرنى قول ابن المبارك رحمه الله : "تعلمنا الأدب ثلاثين عاماً وتعلمنا العلم عشرين".

وليست هذه التسميات الحديثة إلا نتيجة أبحاث وتجارب طويلة قامت هنا وهناك وتناولها الأبناء عن الآباء.. وهي ليست حكرأ على أحد بل تنتقل من بلد لآخر بل هنالك مؤسسات متخصصة بنقل تجارب الآخرين وخبراتهم مثل منظمة "اليونيسكو" إذ لها نشاط واسع في هذا المجال ، والمربون المتخصصون يستطيعون تمييز الخبيث من الطيب..

ولا يمكن فصل التربية عن التعليم ، فالتربية إذ تسعى لبناء الإنسان السوي المحب للفضيلة ذي الشخصية المتوازنة المتحلي بمكارم الأخلاق فهي حريصة أن يكون هذا الإنسان متعلماً مثقفاً بالعلوم المختلفة ، فهو هدف من أهدافها.. فالتربية تواكب التعليم ، وأكثر ما تكون وضوحاً في سنين الدراسة المتقدمة ، الابتدائي والإعدادي.. وتقل في سني الدراسة المتأخرة ، حيث تكون شخصية المتعلم قد تبلورت ، وهذا لا يعني انعدامها...

ولا بد حتى تتضح صورة التربية ممزوجة بالتعليم من ذكر بعض الأمثلة من المنهج والمربي والطالب.

فمن حيث المنهج نورد بعض الأمثلة التي تهدف إلى التعليم البحث وأخرى إلى التربية والتعليم معاً ، ففي الحساب مثلاً ؟ لناخذ هذا المثال :

مع سعيد ٥٠ ريالاً صرف منها ١٠ ريالات ، كم بقي عنده؟ يمكن صياغة المثال نفسه حتى يحقق غاية تربوية وتعليمية فيصبح كالتالي: مع سعيد ٥٠ ريالاً ، أعطى فقيراً قابله ١٠ ريالات ، كم بقي عنده؟

وفي العلوم أيضاً انظر إلى هذه المعلومة الموجودة في الكتب :
حبت الطبيعة الزرافة عنقاً طويلاً لتستطيع أكل أوراق الأشجار. ويمكن صياغة هذه المعلومة؛ بل يجب أن تصاغ كالتالي :

خلق الله للزرافة عنقاً طويلاً لتستطيع أكل أوراق الشجر .. على افتراض أن المعلومة صحيحة ، فهنا تربية مع تعليم.

وهكذا في مختلف المواد تستغل النصوص وتتضافر المعلومات لتحقيق أهداف سلوكية ووجدانية بالإضافة إلى الأهداف التعليمية حتى يحمل الطالب الأدب والفضيلة والعلم .

هذا في المناهج؛ أما في مجال المربي والطالب فما أكثر المواقف اليومية التي تمر والتي تحمل مئات الفرص لكي يتربى الطالب من خلالها ولا بد هنا من ذكر بعض الأمثلة :

لنتصور أن طالباً أخطأ في الإجابة الصحيحة يمكن أن يقال له ما يلي:

- خطأ اجلس.

- أنت بواد ونحن بواد.

- غير فاهم أبداً ، مع بعض عبارات التوبيخ أحياناً...

ويمكن أن يقال له : جزاك الله خيراً لقد اقتربت من الإجابة ، ويسأل من يساعد أخاه أو يكمل له الإجابة؟

فالعبارات الأولى ليست من التربية بل العكس تعين على إحباط الطالب. والإجابة الأخيرة من المربي أنقذت الموقف ولم يشعر الطالب بأي شيء غير عادي..

مثال آخر: دخل المدرس الفصل ووجد الطلاب قد أمسكوا بطالب سارق وجدوا عنده قلم زميله ، وتعالى الأصوات : سارق ، سارق! فما كان من المدرس إلا أن صاح معهم سارق! كيف تسرق؟ والله لأفعلن وأفعلن.. وانهاه عليه ضرباً وتوبيخاً.

وتصرف آخر بديل : أسكت المعلم الطلاب وقال : لا ، سعيد لا يسرق ، كيف يسرق ويعرف أن السرقة حرام؟! لا بد أنه أخطأ وظن أن القلم قلمه ، ووضع في الحقيبة ، أليس ذلك يا سعيد؟ سعيد: بلى يا أستاذ... تلافى الفضيحة ثم بينه وبين سعيد يعالج الأمر إذا اقتضى ذلك بالطرق المعروفة.

فالسرقة والكذب والاعتداء والحيل كل ذلك يحصل مع الأطفال في المراحل الأولى ، ولكن يجب أن يعالج بحكمة لأن موقفاً واحداً ارتجالياً مع طالب قد يحطم شخصيته ويجعله غير سوي طيلة حياته ، وإنني لا أنسى ذلك المدرس الذي كاد يحطم طالباً صغيراً لأنه بال بولاً لا إرادياً في الفصل ، وأصبحنا شباباً كباراً حين نمر بذلك الطالب فيطرق خجلاً وحرماً منا لأننا نعرف القصة ، وحين حصل مثل ذلك مع مدرس آخر وأصر الطلاب على أن الطالب بال في الفصل على ملابسه ، وقف المدرس إلى جانب الطالب بحكمته وصرف انتباههم بلباقة عن التفكير في هذا الموضوع حتى سرعان ما نسوه وانتهى الأمر.

إن الطفل يحتاج إلى يد حانية تمسح على رأسه.. وتأخذ بيده إلى شاطئ التوازن النفسي بعيداً عن الخلل والشروخ.. وهذا ما دعا بعض الدول الغنية إلى تعيين (أخصائي اجتماعي) في كل مدرسة يعالج مثل هذه الأمور.. ولكن التجربة لم تتجح لسببين :

الأول : سوء اختيار هؤلاء الأخصائيين.

والثاني : المعلم أولى بحل هذه الأمور ومعالجة هذه المواقف وذلك لعدم التوسع في نشر مثل تلك الأسرار والمشاكل.

وخلاصة القول لا بد من التربية أولاً ، والتعليم معها ثانياً وخاصة في المراحل الأولى ، إذ تعتبر المدرسة امتداداً للبيت فيجب أن تتضافر جهود المربين على ذلك ، ليحمل العلم المتزنون الصالحون المؤدبون المحبون للفضيلة لكي يؤتي هذا العلم ثماره ، ويحمله أهله..
على يد من يتربى الأبناء؟

أول ما يتبادر إلى الذهن أن الأبناء يتربون على أيدي معلمي وزارة التربية والمؤسسات التابعة لها.. نعم هذه حقيقة ، ولكن هل هؤلاء فقط؟ أم هنالك مصادر أخرى تؤثر في العملية التربوية؟ إذاً ما هي هذه المصادر والمؤسسات المعنية بالتربية بشكل مباشر أو غير مباشر ، وبنسب مختلفة؟ والتي لا بد لكل مشتغل بأمور التربية أن يضعها في حسابه؟:

١ - البيت : وهو أولها وأهمها وأطولها مدة وامتداداً وهو الأساس.
٢ - والمدرسة.

٣ - البيئة والمجتمع : كالمساجد ، والمكتبات ، والمحاضرات ، والأندية والجمعيات ، ووسائل الإعلام باختلافها وبتنوع أساليبها.. والخدمة العسكرية في بعض الدول لها دور كبير في صقل شخصية الأفراد.

وكذلك سياسة الدولة العامة ، هل هي قائمة على احترام مواطنيها ، وحرصها على أن يكونوا عاملين منتجين تهيئ لهم العيش الكريم أم عكس ذلك تحرص على قهرهم وإذلالهم وإبقائهم مستهلكين ضعفاء؟ كل هذه المؤسسات التي ذكرنا والتي فاتنا ذكرها تترك بصماتها جلية واضحة على شخصية ذلك البرعم ، وكل واحدة منها تحتاج إلى كتب لتتناولها بالشرح والتفصيل والتأثير وما لها وما عليها.

التربية من خلال المدرسة:

حينما تذكر المدرسة نعني بذلك المؤسسة الرسمية المعنية بالتربية والتي تكون غالباً تحت إشراف الحكومات ، وقد اتفق المربون على أن عناصر العملية التربوية ثلاثة:

١ - المنهج أو الكتاب.

٢ - والطالب.

٣ - والمربي.

المناهج :

قبل الحديث عن المناهج لا بد من الكلام عن أهداف التربية إذ أن المناهج تخدم تلك الأهداف.. تعتبر أهداف التربية في كل بلد عنواناً لسياسة ذلك البلد لبناء مجتمع يحقق له طموحاته وتطلعاته ، فمن البديهي أن تختلف أهداف التربية من بلد لآخر.. فأهداف التربية في اليابان مثلاً تهدف إلى إقامة قاعدة صناعية عريضة تختلف عن أهداف التربية في إسرائيل إذ تهدف لبناء قاعدة عسكرية عريضة ، والقاسم المشترك بين الأمم من أهداف التربية هو إعداد المواطن "الصالح"..
وهنا ومن خلال الأهداف تكمن خطورة الأمر إذ توجه كافة الوسائل والأنشطة لخدمة ذلك الهدف وقلما تجد بين الأهداف هدفاً يدعو لترسيخ العقيدة الصحيحة أو إعداد الإنسان المسلم الحق... وإذا وجد مثل ذلك قرن بشيء آخر أفسده كأن يكون الهدف : إعداد الإنسان المؤمن بالله والوطن..

وهذه الأهداف العامة تنتشعب إلى أهداف خاصة ثم توضع في قوالب مختلفة لتشكل فيما بعد مع المواد العلمية المناهج المقررة للتدريس.

إذا تصاغ المناهج وفقاً للأهداف من قبل متخصصين بالمواد العلمية وعلماء نفس وتربية ، ومدرسين ذوي خبرة طويلة... ثم تفرغ في كتب ، وتجرب وتعديل بين الحين والآخر لتشكل دليلاً للمعلم والطالب وخطاً عريضاً يسترشد به وفق ما رسم له. والحديث عن المناهج وما سببته من غسل دماغ الناس وتزوير التاريخ يطول جداً ، ولكن أقول : إن أغلب المناهج التي بين أيدينا مترجمة ومنقولة عن غيرنا بسلبياتها دون الإيجابيات وبعض النظريات أو الفرضيات قد تركها أصحابها ونحن ما زلنا متعلقين بها.

الطالب :

وهو محور العملية التربوية فالجميع يعمل لأجله.. والجهود والتجارب كلها من أجل أن تحقق له المزيد من المكاسب.. فيجب أن تكون المدرسة بالنسبة له حياة وليست إعداداً للحياة ، يتعلم من خلالها وهو يلعب ويلهو ، وهي امتداد طبيعي للبيت ، وتغيرت كثير من المفاهيم فلم يعد الطفل صفحة بيضاء تكتب فيها ما تريد بل هو جملة من الانفعالات والإحساسات تحتاج إلى توجيه وتصعيد.. ويجب أيضاً أن يكون الطالب إيجابياً يتعلم بنفسه ، والمعلم سلبياً يراقب ويوجه ، وخرج الطلاب في دول الغرب من سجون الصفوف إلى المخابر والمزارع والمعامل للتعلم وأصبحت العملية تعليمية وليست تعليمية كذلك الثواب والعقاب والواجبات كل ذلك خضع لتجارب كثيرة وأبحاث كلها تهدف إلى إعداد هذا المتعلم ليكون شخصية متوازنة صالحة.

أما في كثير من الدول العربية فلا يزال الطالب بين جدران الفصول يتلقى الخطب والمحاضرات النظرية وأسيراً يعد الساعات حتى يسمع جرس الانصراف في حين زميله في الدول الأخرى تراه يبحث في المختبر والمعمل ويخترع ويشجع..

المربي :

وهو في العملية التربوية الأهم على الإطلاق والمنهج بعده في الأهمية وهو الرأس إذا صلح صلح الجسد كله ، وإذا فسد فسد الجسد كله.. إذ يستطيع المربي الفاضل أن يغطي سلبيات المناهج ويستطيع المربي الفاضل أن يغطي إيجابيات المناهج أيضاً..

والأهم من ذلك والأصعب أن الطالب لا يتربى على يد المربي من خلال الدروس فقط بل يأخذ عنه أضعاف ذلك من خلال النشاطات والإعجاب الشخصي والمحاكاة حتى في اللباس والمشى والكلام ، يأخذ في هذا المجال وقد يتأثر به ويأخذ عنه أكثر مما يأخذ عن الأب.

فأين هذه الشخصية المتزنة الطيبة القدوة إلى الخير الأمرة بالمعروف الناهية عن المنكر الذي يضع مخافة الله نصب عينيه حاملاً هذه الأمانة محباً لها ، عارفاً بصعوباتها.. كيف يختار؟.

يخضع اختيار المدرسين إلى اعتبارات تتوافق مع سياسة البلد لتضمن تحقيق الأهداف التي رسمتها وتطبيق المناهج التي أعدتها لذا تختلف الدول في ذلك. وتتفق في شيء واحد وهو حصوله على المؤهل الذي يؤهله للعمل ، وإذا لم تسع الدولة لتأمين المدرس الكفو فهي تهدم بيتها بيدها مهما طال الزمن أو قصر.

أما المؤهل فينقسم إلى قسمين :

الأول علمي : فيجب أن يكون المدرس ملماً إماماً جيداً بالمادة التي سيدرسها.

الثاني تربوي : وهو حصوله على مؤهل تربوي يدرس من خلاله :

١ - طرق تدريس المواد: أي كيف يوصل هذه المواد للطالب وفن ذلك.

٢ - تربية وعلم نفس: وهي معرفة المراحل النفسية والانفعالية التي يمر من خلالها الطالب ليسهل عليه التعامل معه بدقة ويأخذ بيده.

فلا يعتبر مربياً من لم يحصل على المؤهل التربوي الثاني ولو كان في مادته في أعلى الدرجات... ومع أهمية هذا الأمر فقد غاب عن أذهان كثير من الناس وممن نحسبهم على خير. وقد فطن له وتنبه له كثير من الدول التي قطعت شوطاً كبيراً في هذا المضمار؛ ففي فرنسا مثلاً يختار خيرة المربين للمرحلة الابتدائية، وتكون رواتبهم أعلى الرواتب، ويحترمون من الجميع، ولم لا؟، لأن الأساس هنا والبناء هنا، وبناء الإنسان أهم بكثير من بناء البنين.. والرابح هو المجتمع في حين سمي "دار المعلمين" في إحدى الدول العربية (مأوى العجزة) وكنا نسمعها من مدرسينا إذ ينصحوننا بأن لا نعمل في التربية والتعليم أبداً لما لأقوه، حتى قالوا: اشتغل أي عمل ولا تشتغل معلماً، وإذا أراد شخص أن ينتقص من الآخر يقول له "معلم أولاد".

وليست هذه هي المصيبة فحسب بل هذه نصف المصيبة والنصف الآخر أن المعلمين أنفسهم صدقوا هذا وعرفوه، وإذا أردت المزيد يكفي الاطلاع على مجلاتهم التي تصدر عنهم وعن النقابات لتراها مليئة بالنكات والرسوم الكاريكاتورية التي تحمل هموم المعلمين ومشاكلهم وخاصة الاجتماعية والمادية، حتى يخيل إليك أنهم متسولون.

فالمعلم يعرف نفسه ويعرف قدره في المجتمع لذا تراه متخفياً لا يظهر أنه معلم فلقد أمضينا ثلاث سنوات ونصف مع زميل لنا وأخفى عنا أنه معلم وحين عرفنا فيما بعد قال: حتى إذا تكلمت يسمع لي.

ومعلم آخر يدعي أنه بائع أمام أناس اجتمع بهم وحين سئل عن السبب قال: تريدون أن يضحكوا مني؟!..

فبأي نفسية يربي هؤلاء وبأي عطاء يعطون وأي قدوة يكونون؟! إن ذلك الواقع الأليم شائع ليس في الدول التي تسمى فقيرة فحسب؛ بل في الدول الغنية أيضاً قلما تجد شباباً يتقدمون إلى هذه المهنة إلا من ضاقت عليهم المهن الأخرى وينتظر أي فرصة ليتقلت منها.

هذه الهموم ينقلها المربون إلى الأبناء والأبناء إلى من بعدهم، وهكذا يتراكم الجهل والخطأ ويتنكر المجتمع الجاهل للمعلم، والمعلم للمجتمع والطالب.

هل يمكن من خلال هذا الواقع إعادة ترتيب الأوراق وأن تقوم عملية تربية متكاملة تجمع بين آخر ما وصل إليه العالم من تجارب في هذا المضمار وبين تعاليم ديننا الحنيف؟..

الجواب: نعم بإذن الله.. فإذا صيغت الأهداف صياغة جديدة لبناء مجتمع إسلامي قائم على الفضيلة منتج أخذ بالأسباب والسنن الكونية مواكب لركب العلم الحديث غدت المناهج تخدم هذه الأهداف، واختير المدرس الكفو الذي يتقي الله ليحمل هذه الأمانة، وتعاونت مكانة المؤسسات المعنية بالتربية من بيت ومدرسة وإعلام ومساجد وجمعيات... تعاونت جميعاً على هدف واحد أظن أن ذلك يحقق التربية التي نصبوا إليها، وهذا لا يتحقق إلا من خلال الأجهزة العليا المسؤولة عن السياسة العامة.

تحت عنوان : "الماشية البريطانية خطر على الصحة" كتبت صحيفة (الديلي تلغراف) البريطانية مقالاً تحدثت فيه عن أمراض الماشية ، نوجزه فيما يلي :

أعلنت لجنة السوق الأوروبية المشتركة أن الماشية البريطانية خطر على الصحة ، وفرضت حظراً على استيراد الماشية التي ولدت قبل شهر (يوليو) ١٩٨٨ ، وهذه الخطة سوف تكلف المزارعين من الخسائر (٧) ملايين جنيه ، وسوف تهدد تجارة الماشية الحية التي تبلغ (٤٧) مليون جنيه في السنة ، وقد فشلت جهود الحكومة البريطانية في تهدئة خوف المستوردين من (مرض الجنون البقري) المعروف علمياً بالتهاب المخ البقري.

إن إحصائيات وزارة الزراعة تفيد أن المرض قد أصاب (٩٤٣٦) من المواشي ، وهناك خوف من انتشار المرض إلى الإنسان، وإن لجنة الأطباء البيطريين التابعة للسوق الأوروبية المشتركة أعلنت أنه لا جدال في أن لحم البقر البريطاني غير صالح للاستهلاك، وقد أعلنت الحكومة الألمانية أن بريطانيا هي الدولة الوحيدة في أوربا التي يوجد بها (مرض الجنون البقري) بسبب الوسائل غير الصحية التي تتبع في تحضير غذاء الماشية. اهـ

ديلي تلغراف ١٩٩٠/١/٢٤

تعليق :

الحقيقة أن سبب هذا المرض المنتشر هو طريقة التغذية التي تعتمد على غذاء حيواني يحتوي على أحشاء الأغنام الميتة ، ولذلك منع هذا الغذاء ابتداء من يوليو ١٩٨٨ .

إن هؤلاء الغربيين لم يكتفوا بأن أفسدوا فطرتهم فأرادوا إفساد فطرة الحيوان أيضاً ، فالنباتات هي الغذاء الطبيعي لمثل هذه الحيوانات ، ولكن جشعهم المادي الذي لا حدود له والذي لا تقف أمامه أي نظرة إنسانية جعلهم يستخدمون أي وسيلة رخيصة لتسمين الحيوانات ، وقد حرم الإسلام أكل لحوم الحيوانات المفترسة لحكم كثيرة ، جاء في صحيح سنن الترمذي عن جابر قال : "حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم - - يعني يوم خيبر - الحمر الإنسية ، ولحوم البغال ، وكل ذي ناب من السباع، وذي مخلب من الطير" (١).

فهل يريد هؤلاء تحويل الأبقار إلى أكلة لحوم؟! وقد حدث في بريطانيا حادثة تشبه هذه الحادثة، وهي أزمة البيض التي أدت إلى استقالة وزيرة الصحة، وإتلاف الملايين من البيض بسبب وجود جرثومة (السامانيلا) وقد اتضح أن السبب في ذلك هو إطعام الدجاج غذاء ذا مصدر حيواني مستخلص من الدجاج الميت ولكنهم لا يعتبرون ولا يذكرون .

الهوامش:

١ - صحيح سنن الترمذي ٨٣/٢ تحقيق الألباني.

البيان الأدبي النهاية

شعر : مروان كجك

مِنْ كُلِّ حَدَبٍ أَقْبِلُوا مِنْ كُلِّ صَوْبٍ عَجَّلُوا
فَلَقَدْ دَنَا الْعَهْدُ الَّذِي قَالَ النَّبِيُّ سِيحْصُلُ
فَالْأَرْضُ نَرْقُبُ جَمْعَكُمْ وَالْغَرْقُدُ الْمُسْتَعْجِلُ

هدية لمكتبة شبكة مشكاة الإسلامية

وَالْبَحْرُ وَالسَّهْلُ الْفَسِدِ وَيْحُ وَصَعَقَةٌ لَا تُمَهِّلُ
 لَنْ تُفَلِّتُوا مِنْ قَبْضَةِ الْأَبْطَالِ لَا لَنْ تَرْحَلُوا
 فَقَبُورُكُمْ فِي أَرْضِنَا وَهُنَا الْأَمَانِي تُقْتَلُ
 لَمْ يَحْمِكُمْ غَدْرٌ وَلَمْ يَشْفَعْ لَكُمْ مَا يُبَدَّلُ
 فَلَأَنْتُمْ أَخْزَى مَقَاماً فِي الْبَرِّيَّةِ يُنْزَلُ
 وَلَأَنْتُمْ أَشْقَى رَهَا نَا يَا يَهُودُ وَاضْحَلُّ
 وَلَأَنْتُمْ نَنْنُ الزَّمَا نَ وَخُبْنُهُ الْمَتْرَدَلُ
 مَهْمَا عَلَوْتُمْ يَا أَفَاعِي فَالْسُقُوطُ مُؤَمَّلُ
 سُدَّتُمْ عَدَاةً تَنَاطَرَتْ مَنَا الرُّؤْيُ وَالْمَشْعَلُ
 سُدَّتُمْ عَدَاةً تَفِيرَتْ أَرْدَانُنَا وَالْمَوْئَلُ
 وَعَلَوْتُمْ ظُلماً وَعَدُوا نَا فَسَادَ الْأَرْذَلُ
 عُمَلَاؤُكُمْ لَنْ يَقْطِفُوا ثَمَراً وَلَنْ يُسْتَمَهَّلُوا
 خَانُوا الْأَمَانَةَ مِثْلَكُمْ لَمْ يَأْنِفُوا أَوْ يَخْجَلُوا
 بَاعُوا الْبِلَادَ وَأَرْسَلُوا أَثْمَانَهَا لِبُنُوكُمْ فَتَأَمَّلُوا
 لَمْ يَتْرَكُوا الْيَتِيمَةَ إِرْثاً وَلَا مَا يُحْمَلُ
 قَالُوا: الْأَمَانَةُ أَنْ نَبِيٍّ عَ وَنَشْتَرِي لَا نُسْأَلُ
 فَلَقَدْ صَعَدْنَا لِلْكَرَاسِي وَالرُّؤُوسُ نُجَنْدَلُ
 وَلَقَدْ سَكْرْنَا وَالْأَمَاسِي بِالْأَضَاحِي حُقَلُ
 لَا لَنْ نَثُوبَ لِرُشْدِنَا حَتَّى تُقَطَّعَ أَرْجُلُ
 لَا لَنْ نَثُوبَ لِرُشْدِنَا حَتَّى يَسْبِخَ الْأَسْفَلُ
 إِنَّا عَلَى الْعَهْدِ الْقَدِيمِ نَصُونُهُ وَنُقَبِّلُ
 إِنَّا يَهُودٌ مِثْلَهُمْ لَكِنَّا نَتَجَمَّلُ
 يَا جَامِعَ الشَّمْلِ الشَّتِي تِ رَمَأْنَا تَتَمَلَّمُ
 عَطَشِي، نَقَلَّبُ، تَلْتَوِي حِيناً وَحِيناً نَرْحَلُ
 تَقْتَانُ مِنْ لِبَا الْبَشَارَةِ، هُمُّهَا الْمَسْتَقْبَلُ
 فَلْيَرْفَعُوا رَايَاتِهِمْ فَوْقَ الرُّبَا وَلْيُقْبَلُوا
 وَلْيَجْمَعُوا أَشْتَاتَهُمْ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ يَنْسِلُ
 فَهُنَا عَلَى بَطْحَانِنَا طِفْلٌ يَشُدُّ وَيَحْمَلُ
 لَمْ تُلْهِهِ قَيْثَارَةُ الْغَوْغَاءِ أَوْ مَنْ يَجْهَلُ
 مِيثَاقُ وَفِي قَلْبِهِ وَاللَّحْنُ أَصْدَقُ أَجْمَلُ
 بَاعَ الطَّفُولَةَ بِالرَّجْوِ لَةَ، لَمْ يَرِعْهُ الْمَقْتَلُ
 وَهَنَا عَلَى بَطْحَانِنَا وَعَدُّ صَدُوقٍ صَيْنَقَلُ
 لَا بَدَأَتْ يَوْمُهُ وَالْحَقُّ لَا يَتَبَدَّلُ
 فَاللَّهُ يُمَهِّلُ مَنْ بَغَى لِكِنَّهُ لَا يُهْمِلُ
 هَذَا يَقِينٌ صَادِقٌ إِنِّي لِأَقْسَمُ، مُقْبِلُ
 فَلْيَنْسَجُوا أَكْفَانَهُمْ وَلْيَحْمِلُوا مَا يُحْمَلُ
 وَلْيُقْبَلُوا بِفِرْعَوْنِهِمْ وَأَصُولِهِمْ وَلْيَدْخُلُوا

فالمسجد الأقصى انتضى السيف الذي لا يُجْهَلُ
ونوازع الإسلام في كلّ القلوب نَعْلَعُلُ
فَلْتُسْرِعُوا بِمَجِيئِكُمْ حَانَ الْقِطَافُ فَعَجَّلُوا
ولقد دنا العهد الذي قال النبي سيحصلُ

القاهرة

١٩٩٠-١-٣٩

ثغرة الأدب بين دعاة الإسلام وخصومه

يحيى محمد رسام

لا شك أن الصحوة الإسلامية وقفت في وجه خصومها ، وتصدت لكل الجبهات ، فأعادت للإسلام صفاء وبهاءه ، كما أعادت للمسلمين اعتزازهم بدينهم ، ولكنها ولأسباب كثيرة نسيت أو تجاهلت ثغرة لم تقدرها حق قدرها وظنت أنها سهلة هينة ، مع أنها عسيرة وخطيرة تلك هي ثغرة الأدب من شعر وقصة ورواية.. ونقد...

خطورة هذه الثغرة :

يمكن إدراك خطورة هذه الثغرة إذا ألقينا نظرة على ما يقوم به الأعداء من ناحيتها حيث استغلوا أيما استغلال ، وتسلبوا من خلالها إلى عقول كثير من أبناء الإسلام وأذواقهم ، ويكفي أن تجول ببصرك في وسائل الإعلام التي تزخر بالأسماء (اللامعة) لمن يسمونهم الأدباء والمبدعين والنقاد ، بل يكفي لإدراك هذا أن تتأمل وبقليل من العمق الواقع الثقافي والإعلامي في البلاد الإسلامية ، فما من بلد إسلامي إلا وتصدر فيه عدد من المجلات والصحف ، من الفصلية إلى اليومية التي تخصص كثيراً من صفحاتها لنشر إنتاج أولئك (المبدعين!!) على أنه الغذاء للعقول والأفكار ، ومن الإشادة بهؤلاء تصنع الطاقات وتشهر مع الأيام ويخدعون بها الناس.

وبعملية استقرائية بسيطة لعدد من تلك الصحف والمجلات في بلد عربي صغير المساحة قليل السكان متوسط المستوى الثقافي ، ندرك مدى العناية التي يوليها أولئك لهذه الثغرة.

الأدب وسيلة فاعلة ومؤثرة:

إن الفئات الراضية للإسلام يتوسلون لنشر أفكارهم المسمومة وإقناع الجماهير بمعتقداتهم بهذا الجانب من النشاط الفكري الإنساني وبما تعلموه من تجاربهم، وبتوجيه من أسيادهم اهتدوا إلى هذا الأسلوب، وهو أن يندثروا برداء الأدب، وعن طريقه وتحت مظلته يستطيعون وبكل سهولة ودون معارضة أن يطرحوا أفكارهم وآراءهم ، ولا شك أن الأدب وسيلة نافذة وسريعة ، وقوية التأثير في النفوس ، وهم لذلك لا يألون جهداً في تجنيد كل طاقاتهم في هذا السبيل ، ويستخدمون الشعر والقصة والمسرحية وإن كان الذين يطلعون على هذا الإنتاج في هذه المرحلة فئة محددة ، ولكن في المرحلة الثانية يأتي دور الناقد كشارح وموضح أو مروج لهذه النصوص الأدبية.

وقراء هذه المرحلة يزدادون نسبياً نتيجة الإغراء الذي يقوم به الناقد والذي يخترع - في الغالب - للعمل الأدبي من الخصائص والميزات ما لم يخطر في بال صاحبه أصلاً. وهناك مرحلة ثالثة حيث يقوم الناقد بالإشارة أو ترشيح النص الأدبي لأداء دور أخطر وأعمق أثراً ، فإن كان النص قصيدة

شعرية رشحها لتكون في منهج الأدب والبلاغة ، وإن كان النص مسرحية رشحها للتمثيل على خشبة المسرح ، وإن كان رواية رشحها لتكون فيلماً سينمائياً لأنها في نظره تعالج أمراضاً اجتماعية وفيها أبعاد سياسية !! ويفعلون ذلك لعلمهم أن غالبية الجماهير لا زالت خارجة عن نطاق التأثير في المرحلتين السابقتين.

الإشارة بالرموز :

ثم انظر إلى الإصرار على إشارتهم برموزهم في كل حين ، وبمناسبة ودون مناسبة في الوقت الذي يتجاهلون فيه عن عمد كثيراً من الرواد الأصلاء ، ونضرب مثلاً واحداً لهذه الظاهرة بما يلقاه أمثال طه حسين من احتفاء وتكريم وإشادة به ويهمل أمثال أحمد حسن الزيات والرافعي والمازني وسيد قطب ومحمود محمد شاكر وغيرهم (١).

أخطر ميادين الصراع :

وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن موقف الإسلاميين من الأدب ، نحب أن نؤكد على أن هذا الميدان من ميادين الثقافة أحد أخطر ميادين الصراع بين الإسلام خصومه (٢) وأن معركتنا مع أدباء الحداثة وبقية المستغربين هي معركة سياسية عقائدية ، وهم من خلال الأدب والثقافة يوجهون أخطر طعناتهم لأعز ما تملك الأمة: عقيدتها وشريعتها.. فالعصر الأموي عندهم لا يزيد عن كونه عصر الأخطل وجريير والفرزدق وصراع القيسيين واليمانين، وأما العصور العباسية فهي عصور ليالي الرشيد وأبي نواس والعباس بن الأحنف ، والجواري والمغنيات ، وهم في نفس الوقت لا ينسون الإشادة بالحركات الباطنية وحركة الزنج والقرامطة وكل الشخصيات المنحرفة كميون القحاح وعلي بن الفضل ومنصور اليمن.. ويتفاخر بعضهم بالانتساب إليهم فهذا يكتب (بسياف علي بن الفضل) والآخر يفخر بتوقيع مقدمات كتبه (حفيد بن الفضل) ، ويخرج أحد الشعراء في بلد صغير وفقير ثمانية دواوين شعرية متتالية ، كلها تحريض للمرأة على الخروج على أوامر الإسلام ، وسخرية بالعلماء الذين يهاجمونه، بل ينتقص من أحكام الأسرة في الإسلام ، ثم يقدم أديب مشهور أحد دواوينه (٣) ويدعو الشباب لقراءة دواوينه ، فالشاعر في نظره عالج بشجاعة أخطر القضايا الاجتماعية.

دعاة الإسلام والإهمال المخل :

إذا كان شأن الأدب كما ذكرنا فما هي المساحة التي يحتلها في برامج وخطط أنصار الفكر الإسلامي من الشباب ، إن الجواب على ذلك ميسور ولا يحتاج لكبير عناء ، فما علينا إلا أن نتصفح أدبيات الصحف والمجلات الإسلامية لندرك مدى الفقر الذي تعانيه في هذا الجانب ، فليس هناك مجلة واحدة على طول العالم الإسلامي وعرضه مخصصة لهذا الجانب ، وتكتفي المجلات الإسلامية بتخصيص صفحات محدودة لباب الأدب ، وإذا كان ذلك أمراً مؤلماً للنفس ، ويدعو للأسى ، فإن الأكثر إيلاً هو عدم اهتمام المشرفين على أبواب الأدب بالمشاركات الأدبية التي يرسلها القراء وعدم تشجيعهم الناشئة. فأني بعد ذلك للأدباء الإسلاميين أن يبدعوا وأنى للمواهب الشابة أن تنمو وتتطور؟ وهل ننتظر أن تنشر لهم مجلات العلمانيين الذين يخصصون المجلات الكبيرة لنشر المقالات الطويلة والبحوث المعمقة والقصائد الحديثة ، وهكذا يظهر جلياً مدى الخلل الذي أصاب هذا الجانب ومدى الإغفال الذي لقيه عند المسلمين.

من أين جاء الخلل؟ :

هل جاء الخلل من جهة سوء الفهم لدى البعض لموقف الإسلام من الشعر أساساً؟ والجواب أن هذا احتمال وارد؛ بل وقوي وله ما يفسره، فرغم ما كتب عن صلة الأدب بالإسلام إلا أن غيوماً من دعايات وشبهات أعداء الإسلام حول هذه القضية تركت آثارها في النفوس ، ويمكن ملاحظة أعراض ذلك القصور، من خلال ملاحظة أن كثيراً من النابهين من أصحاب التخصصات العلمية في الأصل، لم يتجهوا إلى الدراسات الأدبية عندما أرادوا خدمة الإسلام بالدراسات غير العلمية ، وكثيراً من الدعاة الذين كان لهم مساهمات أدبية جيدة في بداية حياتهم انصرفوا عن الأدب والشعر ، وكأن ذلك يزري بهم ، فإذا كان ذلك هو حال من يفترض فيهم أنهم الموجهون لسير الدعوة فكيف غيرهم؟ وهنا لا بد أن نسأل ما مدى صحة وسلامة هذا الموقف؟ لنرى أولاً ما هو موقف الكتاب والسنة في الشعر والأدب بشكل عام.

موقف القرآن والسنة من الشعر والأدب :

قال تعالى عن الشعراء:

((وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ))

وإذا فهذا هو القرآن الكريم، قد هاجم بعنف الشعراء المناوئين للدعوة الإسلامية وشنع عليهم ، وفي الوقت نفسه أشاد بالشعراء المؤمنين ، وأشار إلى أوصافهم وأنهم يعملون الصالحات ويذكرون الله كثيراً وينتصرون بعد ما ظلموا ، وأنهم لا بد أن يقوموا بواجب الجهاد بالكلمة. وأما موقف الرسول -صلى الله عليه وسلم- فقد كان يحرض ويشجع من يرى فيهم ملكة الشعر لمواجهة الشعراء المحاربين للدعوة الإسلامية والأحاديث كثيرة في حض وتشجيع حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وغيرهم ، الذين كانت ألسنتهم سيوفاً حادة في وجوه الكافرين ويدعو الرسول -صلى الله عليه وسلم- لبعضهم بأن يؤيده روح القدس إذا هو هجا الكفار. وإذا كان ذلك هو موقف القرآن والسنة وموقف الصحابة من الشعر والشعراء ، فقد يقال : فماذا عن بقية عناصر الأدب كالقصص والأمثال؟ واتباع الأساليب البلاغية والبيانية؟ فنقول : أما استخدام القرآن للقصة كأسلوب مؤثر وفعال في تبليغ الدعوة وغرس المفاهيم وتحليل مواقف أعداء الدعوة الظاهرة وصلتها بدخائلهم فذلك واضح لا يحتاج لبيان ، بل إن أسلوب بعض القصص القرآني فيه كل عناصر القصة من عناصر التشويق وتصوير الشخص و استخدام الحوار وحل العقدة في النهاية وانتصار الخير دائماً مثل قصة (يوسف) عليه السلام. وكذلك استخدام القرآن للأمثال وهو من ألوان الأدب.

وقد أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأن يعظ الكافرين ويقول لهم في أنفسهم قولاً بليغاً. والدعاة في كل عصر مأمورون بما أمر به الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام ، ولا شك أن تأثير من له صلة بالأدب لأعمق وأبلغ في نفوس الجماهير ممن لا حظ له في ذلك ، بل إننا نرى أن الجفاف في أسلوب بعض الدعاة من أسباب أعراض بعض الناس عنهم ، يقول الأستاذ محمد قطب :

"إن الأدب لا بد أن يكون في خدمة الدعوة، فإن أعداءنا يستخدمونه ضد الإسلام وأخلاقياته ، وإن الآداب من أقوى الوسائل التي إن استخدمناها نكون قد أدينا واجباً مهماً".

يعتبر الأستاذ أبو الحسن الندوي أن الأدب من أقوى العوامل في (الإفساد) أو (الإصلاح) ولذلك لا يجوز أن يفصل بين الأدب والأخلاق .

الهوامش:

- ١- وأخيراً حصل صبي المبشرين لويس عوض على جائزة الدولة التقديرية في مصر.
- ٢ - انظر: محمود شاكر: أباطيل وأسمار.
- ٣ - الشاعر هو الشرفي والأديب هو الدكتور المقالح.

قصة قصيرة

العقوق

خولة درويش

يا لفرحة (أم نديم) وهي ترى عروس ابنها الجميلة (سها) تزف له ، إنها فرحة طالما انتظرتها لتجبر قلبها الكسير ، ولتأسو جراح نفسها المكلومة ، ويا لسرورها وهنائها! ها هو ابنها تكتمل رجولته إذ يعمر بيت والده (المرحوم خالد) فتسعد بذلك كما سعدت يوم تخرج من كلية الهندسة وعين في إحدى الشركات الكبرى ، فتركت مهنة الخياطة التي ما كانت لتعمل بها لولا الحاجة ، كانت تمضي سحابة يومها في استقبال زبائنها من الراغبات في الأناقة ، وتسهر جل ليلها خلف ماكينة الخياطة لتؤمن لعيالها الحياة الهانئة الكريمة بعيداً عن الحاجة ، تتطلع إلى أملها الكبير (نديم) ليحمل عنها أعباء أضحت تنوء بحملها ، وهي على أبواب شيخوخة مبكرة جلبها كدح النهار وهمّ الليالي لإعالة أيتام ، وتأمين الحياة الكريمة لهم بعيداً عن العوز والفاقة.

لكن صاحباتها ممن يعرفن (سها) المعرفة الحقة كان يحدهن تفاؤل حذر إلى تحفظ في الفرح والسرور ، وما منعهن الإقدام على نصيحتها إلا الخوف من أن يتهمن بالغيرة ذلك أن جمال (سها) البارع قد ملك على (أم نديم) قلبها بل وعقلها أيضاً ، ولم تدر أن هذا الجمال لم يورث (سها) إلا غطرسة وكبراً بل وتسليطاً في الرأي يلمسه كل من يعاشرها..

ومنذ أن اقترنت بـ (الأستاذ نديم) أضافت إلى سلطانها وجبروتها عش الزوجية الجديد. فأضحت رغباتها وأمر عند أفراد الأسرة جميعاً وأصبح زوجها لا يتوانى عن تنفيذ ما تحب أياً كان ذلك... وإن حدث التواني أو التأجيل .. فلا اعتذار يقبل ، بل ينطلق السخط من فمها فيحول المنزل إلى جحيم لا يطاق.

وكان الجميع يطلب لنفسه السلامة برضاها ، وعمل ما يروق لها ، فهل ترضى؟! لا زلت أذكر يوم كانت (سها) تشكو حب ابنتها (سلوى) لجدتها وعماتها وبرها لهم وتعلقها بهم.

وعندما قلت لها سائلة ومقربة بين وجهات النظر :

- وماذا في برها بجدتها وقربها من عماتها؟! أوليس ذلك مما يفرح الأم؟! إن من يبر جدته ويحسن إلى عمته قادر أن يكون أكثر إحساناً إلى أمه... ولكن هيهات أن تقتنع (سها) أو ترضى بهذه الأقوال..

لقد حجب هواها الجامح جمال الحقيقة ، فما وجدت منه إلا النفور ، لقد امتقع وجهها وهي تقول :

- لا ليس كل الناس سواء ، هؤلاء كالثعابين التي تقذف بالسّم ، إنهم أعداء بئياب الأهل والأقارب.

ويجمع بها الانفعال فتتابع الكلمات تتدفق من فمها:

- يكفي المرارة التي جر عوني إياها عن طريق ابنهم ووساوسهم له ، أيريدون أن يذيقوني الويل من أولادي أيضاً؟!!

وأرادت أن تختصر الحديث فهبت واقفة وهي تتوعد بأمر لا ترعوي عن إظهاره .
- والله لن أدع لهم مكاناً في بيتي... فإما أنا أو هم ، وليعمل ابنهم ما يشاء ، فمنزل أهلي يسعني...
ويأتي الزوج.. ويحتدم النقاش ، ويخونه بيانه ومنطقه ، ولم تسعفه أية حجة حتى قول الرسول صلى
الله عليه وسلم:- "بروا آباءكم تبركم أبناؤكم".

لامس حسها الغليظ فما وجد منها غير التبدل واللامبالاة والإصرار على موقفها المشين. فما كان
من الزوج الذي اعتاد الانصياع لزوجته المتسلطة إلا أن رضخ لرغبتها ، ورأى أن والدته برحابة
صدرها ، أكثر تقديراً للأمور من زوجته.

فقرر مفاتحة الأم الرووم ، وقال لها بصوت كسير حزين :

- عزيز علي أن أقول لك يا خير أم، أنني ابنك البار بك، والذي يفديك بالغالي والرخيص ... ويسود
صمت ثقيل ، فالموقف الجلل يمنع الكلمات المتعثرة من أن تظهر ، فتغوص في أعماق حنجرته.
ونظرات الأم الحائرة ترمقه في دهشة وتساؤل.

ثم يكمل وقد غلبت عليه الأثرة قائلاً:

- إن (سها) قد أتعبتني ، وتجد أن لا حق لأحد في زوجها وبيتها ، فماذا أعمل؟! وبين دهشة الأم
وحسرتها ، سألت دمة أسيفة من عينيها ، وفي بساطة تعسة قالت بتسليم حزين :

- اعمل ما تريد ، أما أنا وأخواتك فنفوض أمرنا إلى الله ..

ثم خرجت وبناتها من البيت... وفي نفسها تعتلج المشاعر الأليمة ، والضيق المكتوم و(سها) تشيعها
بابتسامة تحكي قسوتها وفضاعتها ، وتخلو من كل معاني الإنسانية.

.. وعاشت الأم حياة بائسة قد لا تصل إلى حد الكفاف ... وهي التي لا تفتأ تسمع عن حفلات ابنها
وولائمه ، ونفسها تتوق إلى لقمة طعام من كده وسعيه ، فلا تلقى إلا صدقات بعض المحسنين الذي

يرجون ثواب الله في إعطاء الصدقة للمتعفين من ذوي الحاجات ، أمثالها!

فما أشق ذلك على النفس التي ما اعتادت الاستخذاء ، لكنه السن والحاجة!!

وأما (سها) فهل وجدت السعادة التي كانت تتشدها؟!!

أم هل أصبحت التطلعات المبتذلة هي مقياس السعادة؟!!

ها هو البيت قد فرغ لها ، وفرحت وفرح أهلها ، إذ خلا المنزل فما ينغصم أحد ، كما سول لهم

عقلهم القاصر ، وما دروا أن البر وصلة الرحم توسع الرزق وتوسع العيش !!

ويتحامل (نديم) على نفسه ويرحب بهم فيزيد ذلك من غبطتهم.. ثم لا يلبث أن ينقلب الترحيب إلى

تجهم وكدر ، ويبلغ الأمر حدة عندما أعلن موقفه بوضوح ، وقد شعر أنه الدليل في بيته ،

الجريح في رجولته ، وأصر على عودة أهله (والدته وأخواته) الذين لا معيل لهم غيره ، ليشاركوه

النعم التي أنعم الله بها عليه.

ولكن أنى توافق (سها) على ذلك؟! وهي التي ترفض حتى الكلمة الطيبة من ابنتها لهم... إن الغيرة

قد أكلت قلبها. والهواجس الخبيثة قد أفسدت عيشها ، فما تطيق أن ترى زوجها يسر لهم بحديث، أو

يبادلهم الابتسام أو حتى الهموم، وتصر على الرفض... وتضحى بأهلها عندما أعلنتها بعنجهية

بعد جدل طويل :

-إن كان يروق لك بعدي عن أهلي فمن الآن فصاعداً لن أجعل أحد منهم يأتي لبيتك ، فلا أهلي ولا

أهلك ، هل أعجبك ذلك؟!!

فيرد وقد تخاذل أمامها كعادته :

- نعم أعجبني.

ويوصد بيت العقوق أبوابه أمام أهل كل من الزوجين ، ويكتفیان بأنفسهما وقرنائهما ... وتمر الأيام والسنون ... ويحين موعد زفاف ابنتهم (سلوى) ويجد الأستاذ (نديم) أن هذه فرصته كي يشعر بحقه الطبيعي في القوامة على المنزل ورئاسة الأسرة. وأن يظهر أمام أصهاره بالمظهر اللائق كرجل يحترم نفسه.

ودون استشارة حرمه (سها) دعا أهله لحضور الفرح كما دعا أهل زوجته أيضاً .. وهكذا .. أصبح عرس (سلوى) الفرح الذي وارى جراح أقاربها ولمّ شعث أهلها .. وسادت الحياة طبيعية ، لولا نذر الانتكاس التي كانت تظهر بين الحين والآخر فيعالجها نديم بصبره الدءوب وإصراره العنيد على عدم التفريط بوشائج القربى وصلة الأرحام. وأنا اليوم وبعد سنوات قليلة من هذا الزواج ، أرى (سها) - ولأول مرة - في انهيار مريع تبكي بمرارة وحرقة ما أسبغته على ابنتها (سلوى) من رفاة وما تلقى منها من الجحود. فيبلغ بها الانهيار مداه وقد أسقط في يدها فتغطي وجهها بكتلتا يديها وتنشج كالطفلة الصغيرة وهي تكوم جسدها الكليل على إحدى الأرائك، تنتحب من أعماق فؤادها المكلوم، وكلمات لا تكاد تبين تخرج من بين شهقاتها:

- آه من سلوى! قد صار لزوجها بيت ولا يأذن لي بدخوله!!

يالها من عاقبة ، عاقبة لا خير فيها ، جحودة منكرة للجميل! ويزداد تشنجها ، عندما يمر أمام مخيلتها، شريط جحودها هي لفضل أهلها وحقوق زوجها وأهله... وكأنها تقول: ألا ما أشبه الليلة بالبارحة ، ومن جرع غيره كأس العلقم احتساه بما قدمت يداه .

من عيون الشعر

حنين إلى الوطن

قال أبو العلاء وهو في بغداد يحن إلى موطنه في الشام :

- ١- إخواننا بين الفرات وجِلْق يد الله لا خبّرُكم بمحال
- ٢- أنبئكم أني على العهد سالم ووجهي لما يبتذل بسؤال
- ٣- وأني تيممت العراق لغير ماتيممه غيلان عند بلال
- ٤- فأصبحت محسوداً بفضلي وحده على بعد أنصاري وقلة مالي
- ٥- ندمت على أرض العواصم بعدما غدوت بها في السوم غير مغال
- ٦- ومن دونها يوم من الشمس عاطلٌ وليل بأطراف الأسنة حال
- ٧- وشعث مداريها الصوارم والقنا وليس لها إلا الكمأة فوال
- ٨- أروح فلا أخشى المنايا وأتقي تدنُس عرض أو ذميم فعال
- ٩- إذا ما حبال من خليلٍ تصرمت علقت بخلٍ غيره بحبال
- ١٠- ولو أنني في هالة البدر قاعدٌ لما هاب يومي رفعتي وجلالي

الشرح :

١- يد الله : قسم ، أي أحلف بيد الله لا خبرتكم إلا بيقين.

- ٢- وجهي لما يبتذل بسؤال : لم أهن وجهي بسؤال أحد من ماله.
- ٣- قصدت العراق استزادة للعلم لا لمدح أحد ونيل مكافأة كما كان يفعل غيلان بن عقبة (ذو الرمة) في قصده بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ، وكان والياً على البصرة، لمدحه ونيل نواله.
- ٤- هذا بيت في الفخر ، أي أصبح الناس يحسدونني على فضلي مع قلة مالي وبعدي عن أنصاري.
- ٥- ندمت على أرض العواصم : ندمت على مفارقة أرض العواصم وهي المنطقة التي فيها بلدته (معرة النعمان).
- ٦- يوم عاطل من الشمس : لا تظهر فيه الشمس لكثرة الغبار. وليل حال بأطراف الأسننة: مزدان ببريق أطراف الرماح وهو هنا يشير إلى أن البلاد بين العراق والشام في تلك الفترة كانت غير مستقرة ، تشتعل فيها الحروب والفتن.
- ٧- الشعث: جمع أشعث وهو الذي لا يتعهد شعره بالغسل والترجيل. والمداري: الأمشاط، لما وصفهم بأنهم شعث جعل السيوف والرماح التي تعمل في رءوسهم في المعارك كالمداري.
- ٨- لا يخاف المنايا بل يخشى الفعال المذموم وما يدنس العرض ، وهذا كقول أبي الطيب: يهون علينا أن تصاب جسمنا وتسلم أعراض لنا وعقول
- ٩- تصرمت : تقطعت.
- ١٠- الهالة : الدارة التي ترى حول البدر إذا حال دونه غيم ، أي لو كنت في هذا المكان المرتفع لجاؤتني منيتي ولما هابتني من أجل جلالتي ورفعتي.

شئون العالم الإسلامي ومشكلاته

زلزلة العقيدة أولاً ثم تهدم الأسوار أساليب حملات التصير في أندونيسيا

"نجمسان" قرية نائية مهملة تقع على سفح جبل ميرابي في مقاطعة سليمان في إقليم بوغي جاكرتا ، وتمثل نموذجاً للقرية الأندونيسية من حيث ارتفاع عدد السكان وصلاحيتها كمرتع للبعثات التبشيرية.

لقد كانت مفاجأة سارة لأهل القرية عندما زارهم في أحد الأيام رجل وامرأة من العرق الأبيض برفقة أناس من أهالي البلد . جاءوا محملين بالهدايا؛ أرز ، سكر ، ملابس مستعملة للصغار والكبار ، بل حتى الأدوية الطبية التي كان لها نتائج سحرية. ما أشد جهل هؤلاء القرويين المساكين!! حيث لا يعرفون كيف يتاجر أصحاب الأدوية هؤلاء بأدويتهم ، وكيف أصبحت الدول النامية أمكنة تصريف لما لا تبيح قوانين الدول المتقدمة توزيعه من الأدوية.

ويتخذ الرجال مواضعهم حول هذه الخيرات بينما النساء الخجولات ينظرن إلى الفساتين المطرزة وهي تخرج من الصناديق ، ويتعجبن من أخوات لهن يلبسن هذه الملابس الخفيفة التي لا تكاد تستر الأجساد! ويقبل من بعيد طفل عليه مظاهر الشغب فيرتدي لباساً واسعاً ، ويختال فيه فينفجر الحاضرون بالضحك على هذا المنظر الطريف ، فيتعثّر الطفل بسيره ويسقط على الأرض فتهرع الأم نحوه وتصفعه على خده ، فيرتبك ويبكي ، ويعتكر الجو بعض الشيء.

يدخل شيخ القبيلة، وقد كان يراقب الموقف من بعيد، ثم يطلب من الجميع الالتزام بالنظام ، ويسأل : ماذا يحدث هنا ؟ فيقوم أحد البيض فيرحب به باللغة المحلية ، ويقدم له رسالة توصية من

المشرف العام، وضعت في ظرف كبير. يأخذ شيخ القبيلة الظرف ويتحسس لفائف الورق بداخله ويضعه في جيبه ، فهو أمي!

لقد أنجز نصف المهمة! وقرر هؤلاء الزوار الكرماء الرحماء البقاء في القرية البائسة لإنقاذها من مصيرها الأسود !!

أيتها السيدات! هذا مال افتتحن به دكاكين على جوانب الطرق! لستن ملزمات بشيء! أليس بيع الأطعمة والدخان والعلكة يدعم دخل العائلة ويرفع من مستوى الدخل القومي؟! وكيف تنهض أمة إذا كان نصف مواطنيها عاطلاً عن العمل ، مهترأً وقته وقوته في عمل البيت والعناية بالأطفال؟!!

وأنتم أيها الفلاحين هذه بذور من نوع جيد ، وهذه أدوات زراعية حديثة ، وهذه أسمدة ومبيدات حشرية.. مجاناً.. بدون مقابل! فضاعفوا منتجاتكم الزراعية ، وطوروا أساليبكم الزراعية! يا أهل القرية : إن أرضكم لا تفي بحاجاتكم الضرورية. ولذلك فهذه أبقار وأغنام استثمروها ، فهي منيعة لكم ، ليس عليكم إلا أن تعيدوا لنا ما تلده ، أما ما تبقى من فوائدها فهو لكم ، فاحملوا عليها ، واحلبوا. وحتى إذا أرجعتم إلينا ما تلده هذه الماشية فهي منكم وإليكم ، ستكون وقفاً مشتركاً على أهل القرية ، وربما أعدناها إليكم ثانية ، كل ذلك مجاناً وبدون مقابل!

لكن، حاجة من عاش لا تنتضي! وكلما اعتمد أحد على غيره بحاجاته الضرورية فسوف يصبح رهينة في يديه خوفاً من انقطاع هذه الحاجات ، ولذلك فهو مستعد لكل شيء يطلبه ولي النعمة من أجل الإبقاء على الامتيازات التي جاءت عن طريقه!

خدمات كثيرة لا حصر لها تقدم لأهل هذه القرى المسكينة؛ دورات مجانية لتعليم طرق الزراعة، النجارة، الخياطة ، تصليح السيارات وأجهزة الراديو ، اللغة الإنكليزية ، حتى الرقص! والذين يشتركون في هذه الدورات ليسوا كلهم مسلمين ، فأصول اللعبة تقتضي إبعاد الشبهات والتغطية! لكن سواء شارك مسلمون أو غير مسلمين (من بوذيين ووثنيين) فعلى الجميع حضور دورة في النصرانية.

الأيام تمر ، والخدمات تزداد ، وتتسع دائرتها ، فإذا ما احتاج أحد من أهل القرية أن يرمم بيته فما عليه إلا أن يقصد شيخ القرية الذي تحول إلى مسئول مهم في مجال تقديم المساعدات! أما الشباب الذين ينهون الدراسة المتوسطة أو الثانوية ولا يستطيعون مواصلة دراستهم العليا ، وهم بمسئس الحاجة إلى مهنة أو عمل ، يجد الواحد منهم الفرصة هنا مفتوحة أمامه للعمل كبائع في محل يملكه نصراني، أو كمعلم في مدارس البعثات التبشيرية. وهؤلاء جماعة منهم قد قبلوا مراسيم "التعميد" وآخرون يتهيئون للحاق بهم ، ومن يرفض ذلك تسحب منه وظيفته.

إن الناس في المجتمعات الفقيرة غالباً ما يكونون بحاجة ملحة للمال ، وقد حلت هذه المشكلة هنا بإقامة جمعيات قروض ائتمانية. وتمنح هذه الجمعيات قروضاً بشروط سهلة، وليس عليك أن تسأل من أين تأتي هذه الأموال؟! والشخص المعمد مؤهل لقروض إضافية ، بل يعفى فيما بعد من التسديد! ولا تجد من هؤلاء الزوار سوى الضحك والمزاح ولقمة العيش ، ونادراً ما يتحدثون في أمور تخص الدين أو الفكر. ومع ذلك فإن الأهالي تواقون لمعرفة حقيقة هؤلاء الناس اللطفاء ، وماذا يدفعهم لمساعدتهم؟! فيجيب الزوار : إننا نخدم عيسى اليسوع، وهذه الهدايا التي أتينا بها هي منه عليه السلام، وهنا يجيب أهل القرية عيسى؟ نعم نعم إننا نعرف عيسى ونحترمه ونعزه. فيسألهم الزوار ، ألا تعتقدون أنكم في تحسن أحوالكم مدينون للهدايا التي أرسلها عيسى لكم؟! لا يستطيع أهل القرية نفي نصف الحقيقة هذه! ولو انبرى من يناقش الفكرة الخاطئة التي انطوى عليها هذا الجواب

فإنه يسكت من أكثر من جهة بأن يقال له: إن كل الأديان جيدة، وكل المؤمنين سيدخلون الجنة، وقد يستنار المسلم بين الفينة والأخرى ولكنه يعود فيعتقد أن هذا الأبيض منصف؟ ألم يسو بين الدينين؟! وبالجملة فإن القاعدة الأساسية في هذا المجال هي: البحث عن الضعيف والانتهازي، وعدم الدخول في جدل مع من يفهم دينه. وثمة أسلوب آخر مع رجل الشارع كأن يقال له إن الإسلام دين صعب الاتباع! حيث عليك أن تستيقظ مبكراً في الصباح لتأدية الصلاة، ثم تكرر ذلك أربع مرات أخرى في اليوم منذ سن الرشد وحتى الموت. أما في النصرانية فلا شيء ينغص عليك نومك، ولا تعاني من ذلك النظام الصارم الذي عليك الالتزام به خمس مرات في اليوم وعلى مدى الحياة. وكل ما هو مطلوب منك هو المجيء إلى الكنيسة مرة في الأسبوع وذلك في يوم الأحد، وبذلك لا حاجة إلى ترك عملك، والإسراع إلى صلاة الجمعة، فيوم الأحد عطلة في جميع أنحاء العالم، (وهذا إثبات آخر على أن النصرانية دين حق) كما أن المهمات التي يطلبها الرب في الإسلام صعبة للغاية، في حين أن ربنا رب حنون.

وهكذا فإن البعثات التبشيرية لا تعتمد في عملها على الخبز وحده فالشيء الذي لا يتحقق عن طريق الخبز يتحقق عن طريق المناهج الثقافية، والعكس صحيح.

وهناك شبكة من مدارس البعثات التبشيرية أنشئت منذ زمن بعيد، مهمتها إعداد جميع القيادات المستقبلية للمجتمع الإسلامي، فالمدرسة التي يقوم على إدارتها البيض في منطقة "كامبونغ" تتمتع بمنزلة رفيعة قد تفقدها أرقى المدارس في أوروبا. وفي مدرسة "كامبونغ" على كل طالب أخذ دروس في النصرانية واجتياز اختبارات فيها. وقد تأثر بعض الطلاب بهذه المناهج في حين تم تعميم أعداد منهم، أما الأغلبية فقد باتت في منأى عن دينها الأصلي، وينتقى الشباب الذين تسهل قولبتهم - ذكوراً وإناثاً على حد سواء - وذلك منذ المراحل الأولى، وإعدادهم لتسلم مناصب قيادية مستقبلية، وتتبع المناهج التعليمية عادة بأفلام سينمائية وإن عرض فيلم سينمائي في قرية - بغض النظر عن محتواه وأهدافه - يعتبر حدثاً عظيماً مثيراً للفضول، فيأتي أهل القرية زرافات ووحداناً ليشهدوا الفيلم ويتشبعوا برسالته اللطيفة! وقد تكون هناك بعض اللقطات غير اللطيفة التي قد تستثير الناس بعض الشيء، وإذا ما حدث ذلك وأراد بعضهم أن يحتج ويمشي باحتجاجه إلى آخر الشوط فإن شيخ القرية (الذي عرفت عقدة النقص عنده مسبقاً وهي الشره إلى المال) مكلف بقطع الطريق على مثل هذه الحالة!

ويعقب عرض الفيلم احتفالات دينية، ومن يحتج أو يطلب من الآخرين عدم المشاركة في هذه الاحتفالات التبشيرية فقد يتهم بالتعصب! ومن ثم يتعرض لمضايقات من قبل الجهات الرسمية! وإحدى نتائج عروض الأفلام والاحتفالات هذه هي ظهور الأندية، ويشجع الشباب ذكوراً وإناثاً على الاختلاط وهذه هي بعض الحوادث تقع، والأواصر الأخلاقية والثقافية تضعف، وكثيراً ما يبلغ عن حوادث زواج بين مسلمات ونصارى عن طريق علاقات الصداقة الناشئة في الأندية، إلا أن أعظم إنجاز حققته هذه الحملة هو انتزاع الروح الإسلامية، وأصبح بإمكان الغزاة التحرك في كل الاتجاهات بعد أن انهدمت الأسوار أمامهم! وأصبح إنشاء الكنائس يفرض فرضاً على قرى منتخبة، وغالباً دون حاجة لإذن مسبق من وزارتي الداخلية والشؤون الدينية. أما في الأماكن التي يخشى وقوع معارضة خطيرة فيها من قبل السكان فيلجأ إلى أبنية عادية أولاً ثم يعدل الغرض من استعمالها تدريجياً وبهدوء من سكن إلى كنيسة، وأخيراً ترتفع لافتة مشيرة إلى وجود كنيسة في المنطقة! وهناك طريق أخرى أشد مكرراً لزراع الكنائس في المناطق الإسلامية الخالصة وذلك باستغلال خطط الحكومة الأندونيسية في نقل السكان من المناطق المزدهمة إلى مناطق أقل ازدهاماً، فإذا كان هناك

مناطق لا تستقبل إلا مسلمين بين سكانها؛ فلا مشكلة في ذلك عند النصارى ، حيث يطلب منهم التسجيل كمسلمين بغرض التسرب إلى تلك المناطق ، وما إن يستقروا هناك حتى يكشفوا عن وجههم الحقيقي ، ويشرعوا في بناء الكنائس.

ولا تقتصر الخدمات التي تقدمها هذه البعثات على معالجة المرضى ورعايتهم بل تمتد إلى ما وراء ذلك بكثير. فإذا أدخل مسلم في إحدى مستشفيات البعثات؛ أو أنه تلقى علاجاً من قبلهم فإنه يشجع ويحث على أن يكون دخوله في النصرانية هو الطريقة المثلى للرد على هذا الجميل الذي يتلقاه منهم ، وإذا كان من المتعذر إنقاذ حياة المريض فإن البعثة تتعهد بدفع الديون المستحقة على ذويه ورعايتهم بعد وفاته ، وأكثر من ذلك فإنهم قد يدفونونه على نفقتهم بشرط أن يكون الدفن حسب الطقوس المسيحية ، وهذا يحقق مقولة: "نصراني ميت خير من مسلم حي"!

وعلى الرغم من كل أساليب الترغيب المتاحة من قبل هؤلاء المبشرين؛ من طعام وشراب ، وكلمات مؤثرة وغير ذلك إلا أن ثقتهم ضعيفة بأساليبهم وإنجازاتهم ، فعلى الرغم من أن الإسلام شيء سيئ (في نظرهم) إلا أنه لا يبدو أن استخدام شعاراته ومصطلحاته أمر سيئ! حيث نرى النصارى يرددون كلمة: عيسى اليسوع.. عيسى اليسوع.. بالطريقة نفسها التي يردد فيها المسلمون كلمة التوحيد : لا إله إلا الله. بل إن النصارى الكاثوليك يقومون في بعض المناطق بتنظيم صلاة الجمعة وذلك لمنافسة صلاة الجمعة عند المسلمين. وفي كثير من الأماكن يرتدي المبشرون الطاقية الأندونيسية التي يتميز بها المسلمون ، ويحيون الناس بـ (السلام عليكم) ويتجولون هنا وهناك متظاهرين بأنهم مسلمين.

وعندما يثير قادة المسلمين الأندونيسيين حججاً دينية في شكاوهم للبابا حول سلوك وتصرفات المبشرين المتبعة بين المسلمين فإنهم يقحمون أنفسهم في جدل ديني لا ينتهي ولا ينحسم ، والأجدر بهم أن يلجئوا إلى القوانين والأعراف التجارية المعتمدة في السوق المشتركة ، التي تنص على أن بيع سلعة مزيفة تحت علامة مسروقة أو منتحلة يعتبر جريمة .

عام	مسلمون	بروتستانت	كاثوليك
١٩٤٥	٩٥,٠	-	-
١٩٧١	٨٧,٥	٥,١	٢,٣
١٩٨٠	٨٧,١	٥,٨	٣,٠
١٩٨٥	٨٦,٩	٦,٥	٣,١

تناقص نسبة المسلمين في أندونيسيا (٨%)

عن مجلة إمباكت انترناشنال ١٩٨٩/١٢/٢١ .

إن أحداث أوروبا الشرقية المتسارعة والتغييرات في المعسكر الشيوعي بشكل عام، لهي خطوة إلى الأمام على طريق الصحة الإسلامية وتحدي جديد في أفق مستقبلها. فهي خطوة إلى الأمام للأسباب التالية :

١ - ازدادت الحركة الإسلامية قريباً من جماهيرها. فلصحة الإسلام طرفان : الحركة الإسلامية رائدة صحوتها، والجماهير محققة أهدافها. فالحركة الإسلامية في معزل عن الجماهير لا تستطيع أن تحقق آمالها. وكلما تعمق التفاعل فيما بين طرفي الصحة الإسلامية ، ازدادت فعاليتها.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية أصبحت الساحة الإسلامية مسرح تجارب للتيارات غير الإسلامية ، ولاقت الشيوعية ومشتقاتها بشكل خاص، رواجاً بين عامة الناس ، ممن جهل حقيقتها ، بدعوى مناهضة الرأسمالية.

أما الحركة الإسلامية وغيرها من الأفراد والجماعات العاملة بحقائق الأمور ، فالشيوعية كانت مبدأ فاسداً منذ البداية ومفلساً منذ إنشاء دولتها في روسيا . فمن المعلوم أن الشيوعية كان من المفروض أن تطبق في أعقاب فشل الرأسمالية ، وظروف روسيا آنذ وحالياً هي أبعد ما تكون عن ذلك ، وقد نجحت الحركة الإسلامية في تغيير مفاهيم أفراد وقطاعات من الشعب عبر مناقشات السجون وصفحات المجلات والكتب . أما عموم الناس ، فقد استمرت خاضعة للتأثير الخادع للدعايات الوهاجة والمعرضة للشيوعية ومشتقاتها .

وما يحصل الآن على الساحة الأوروبية، أن تلك الشعوب استجابت لدواعي فطرتها، ونبذت الشيوعية وراء ظهورها ، وأعلنت إفلاس المبدأ من داخل ذاتها ، وانطبق عليها تشخيص عمرو بن العاص قبل أربعة عشر قرناً من الزمان في تعقيب له على حديث رسول الله-صلى الله عليه وسلم:-«تقوم الساعة والروم أكثر الناس» الوارد في صحيح مسلم، قال:«لئن قلت ذلك ، إن فيهم لخصالاً أربع : إنهم لأحلمهم عند فتنة ، وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة ، وأوشكهم كرة بعد فرة ، وخيرهم لمسكين ویتيم وضعيف. وخامسة حسنة جميلة:وأمنعهم من ظلم الملوك » وعلى الساحة الإسلامية تساوي العالم بحقيقة الشيوعية والجاهل بها في الحكم عليها ، واتحدت المواقف منها بين الحركة الإسلامية والجماهير..

٢ - وفرت الحركة الإسلامية جهوداً كانت تبذل في محاربة الاتجاهات الشيوعية وكشف حقيقة ولاءاتها. فمن نتائج أحداث أوروبا الشرقية أن عدم المبرر لتوجيه الجهود لتوضيح حقيقة الشيوعية. فإذا كان المورد للسلعة قد أوقف إنتاجها ، فالأولى للمستهلك أن يوقف استيرادها ، وإصرار المستهلك على ترويج الشيوعية في ظل هذه الظروف ، لهو استخفاف بالجماهير واستهزاء بها ، وهذا الترويج لن يدوم طويلاً لأنه مخالف لمنطق الأحداث.

كذلك انعدمت واجهة استخدمت لمحاربة الإسلام من خلفها ، فالشيوعية ومشتقاتها قد استخدمت كقناع من قبل الرأسمالية لتحجيم استجابة الجماهير للصحة الإسلامية. وكان على الحركة الإسلامية أن تكرر الجهود لا لنقد الشيوعية كمبدأ فقط ، وإنما لكشف حقيقة ولاء كثير من الاتجاهات أيضاً ، أما الآن فقد سقط القناع وأفلس المبدأ ، ولم يبق إلا العداء السافر للصحة الإسلامية.

٣ - نقص عدد أعداء الإسلام من حملة المبادئ الهدامة والمناهضة له، فإن سقوط الشيوعية لم يواكبه ظهور مبدأ جديد، بل تكريس لمبدأ حالي هو الرأسمالية، فقد انتهت الحرب الباردة والتقى الشرق الشيوعي مع الغرب الرأسمالي ، وليس لهما من ماضٍ مشترك يحنون إليه؛ بل ماضٍ يهربون منه، وكلما جاءت أمة لعنت سابقتها، ومستقبلها يبني على أنقاض ماضيها.

أما الحركة الإسلامية فلها في ماضيها ما يضيء لها المستقبل ، وفي عقيدتها ما يرشدها إلى الطريق المستقيم. فهي بذلك لا تنتقل من حال إلى حال ومن نقيض إلى نقيض، فالثبات في العقائد والتطور في المسالك لا يتناقضان، بل يكمل بعضها بعضاً، في توازن دقيق، يضمن للأمة الإسلامية ديمومة سلامة العقيدة والفكرة. ففشل الشيوعية إثبات منطقي لصلاحية الإسلام ، دين الله للإنسان. قال تعالى: ((يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ)) ((يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمَلَّاقِيهِ)).

٤ - نقص عدد المبادئ التي لا بد أن تخضع للتجارب لإثبات فشلها أمام الشعوب ، أما الإسلام فباق خالد ينتشر أفضاً وعمودياً.

فالأول هو انتشاره في قطاعات الشعب كلها ، والثاني هو تعميق الشرع والفكر الإسلامي في عناصر الحركة الإسلامية. ولتحقيق الأهداف المرجوة وإحداث التغيير المطلوب ، لا بد من محصلة للبعدين متوازنة متوسطة ، وإلا تعثر الركب وانحرف المسار وطال الطريق ، وقد أفلحت الحركة الإسلامية في تحقيق البعد الثاني أكثر من الأول ، إذ الإقناع يحصل من طريقتين : طريق قصير ، هو طريق النظر والاستدلال العقلي المبني على بصيرة إيمانية ، وآخر طويل ، هو طريق التجربة المبني على المعاناة والممارسة الفعلية. وبشكل عام ، يصلح الأول للأفراد والجماعات ، ويصلح الثاني للشعوب والأمم.

وقد حث القرآن على النظر والتفكير في آيات كثيرة ((قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ)) ((قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّن جِنَّةٍ)). أما التجربة والمعاناة ففيها آيات كثيرة أيضاً. ((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)) ((ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) ((أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ)) فعلى الحركة الإسلامية أن تصبر على مشاق الطريق وتبني نفسها بناءً سليماً على العقيدة الصافية ، وتتلى بالصبر الجميل على الشعوب ، بحيث تكون مؤهلة لقيادة الجماهير حين تصحو من غفلتها وتردها رداً جميلاً لعقيدتها وفطرتها ، وتحقق لها السعادتين : سعادة الدنيا وسعادة الآخرة.

وعلى الحركة الإسلامية، في أثناء تجربة الشعوب والأمم للمبدأ المتبقي ، مبدأ الرأسمالية، واجب مهم. هذا الواجب يتضمن الوعي المبني على العلم والمعرفة بحقيقة الرأسمالية ، مع إمكانية تمييز الغث من السمين ، والصالح من الطالح ، والسليبي من الإيجابي، وحيث يتم ذلك كله من خلال منظور إسلامي مبني على أصول شرعية وحركية ، مستلهمة من القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم. ففي الحديث: «خياركم في الجاهلية، خياركم في الإسلام ، إذا فقهوا» وفي قول لعمر: " ينقض الإسلام عروة عروة من نشأ في الإسلام ولم يعرف الجاهلية ". وفي سيرة ابن تيمية مثال يحتذى وأمل يرتجى لدعاة القرن العشرين. إذ فقه ابن تيمية عقائد الكفار والضالين

والمنحرفين ، ورد كيدهم في نحرهم. ونراه يرد على مقولاتهم بفقه فاق علم أنفسهم بعقائدهم ، وبأسلوب شابه شدة وغلظة عند مخاطبة غلاتهم ورؤسائهم ، وتخلله رفق وحنو عند مخاطبة عامتهم وجهالهم. وتساوى عنده في فقه عقائد الكفار من روم وفرس ، وعقائد المدسوسين ممن انتسبوا إلى ملة أهل القبلة من الفرق الضالة. ولعل في سيرة ابن تيمية وغيره من الدعاة السابقين له واللاحقين به ، ما يدعو إلى القول : خيار دعائنا اليوم ، من فقه الإسلام وعلم عقائد أهل الضلال.

ورواج الشيوعية في بلاد الإسلام لم يكن مثله في أوروبا الشرقية ، وفي ذلك مصداق لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم- حين وقف على قبور شهداء أحد بعد سبع سنين : « لست أخاف عليكم

بعدي أن تشركوا بالله شيئاً ، ولكن أخاف عليكم الدنيا أن تنافسوها « ويستوقفنا الشطر الثاني من الحديث، لربطه بأحداث الساعة ، فالأحداث وإن أدت إلى سير الصحوة الإسلامية خطوة إلى الأمام، فهي قد أثارت تحدياً أمامها، وذلك بفعل الأسباب التالية :

١ -انتقال الصراع من مرحلة العداء في الخفاء إلى مرحلة العداء في العلن. فبعد سقوط أقنعة الشيوعية والباطنية على المستوى العالمي وفشلها في وقف مد الصحوة الإسلامية التي ظهرت لها آثار إيجابية جهادية تبلورت في أحداث أفغانستان والأرض المحتلة ، شعرت ملة الكفر أن التهديد المتجدد من أرض الإسلام يستدعي اتحاد الشرق والغرب وإنهاء الحرب الباردة، ناهيك عن تأثير التيار الوحدوي بين دول أوربا الغربية المتمثل في السوق الأوروبية المشتركة على تغيير طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب. فهم جميعاً إذا اكتوت مصالحهم بالإسلام، وشتى إذا تضاربت مصالحهم فيما بينهم. فهي ثلاثة مراكز قوى بدأت بالتبلور على المحيط العالمي، وهي وإن كانت جغرافياً وسياسياً منفصلة، فقد اتفقت جميعها على أمرين : تحقيق الرفاهية الاقتصادية لشعوبها؛ ومعاداة الإسلام .

وعلى الحركة الإسلامية أن تدرك وتعي أبعاد التحدي الجديد. فصراع العلن هو غير صراع الخفاء. والمجابهة القتالية هي غير المجابهة الفكرية. وصبر على هذا هو دون صبر على ذلك، والعداء الجديد يستدعي أمرين: تكاتف وتعاون الاتجاهات المختلفة في الحركة الإسلامية وتقديم البديل الواعي والقادر على قيادة الأمة الإسلامية إلى بر الأمان .

٢ - تحولت طبيعة الصراع العالمي من صراع بين العقائد الضالة إلى صراع بين دنيا وآخرة. فصراع الشرق والغرب كان المحور الذي تدور عليه العلاقات بين دول العالم ، وتوزعت ولاءاتها فيما بين طرفي هذا المحصور. شرق إلحادي وغرب مادي ، أما الآن فقد فشلت الشيوعية وطالب رئيسها بتطبيق الشيوعية بوجه إنساني. وهل يتم ذلك دون دين؟ وهل من دين يضمن استمرارها وبقائها غير المسيحية؟ وهكذا ، وقبل لقاء رئيسي العملاقين تم لقاء رئيس الشرق ورمز الغرب الكنسي.

فهي دنيا يسعى إليها هؤلاء من شرق وغرب ، وآخرة تعيش معهم ، عند البعض منهم ، سويغات في كنائس يوم الأحد ، هما عالمان منفصلان دين ودنيا ، ولكن مع تبعية الدين للدنيا ، وارتباط مصلحة الثانية بالأولى ، فما هو الشمال قد اتحد بهدف تحقيق الرفاهية الدنيوية لشعوبه في ظل الدين الكنسي. عبد الدرهم

في كل أحواله وعبد الكنيسة في بعض حالاته ، فالإنسان هناك يعيش في ظل تصور فاسد وسلوك دون ضابط، وفي ظل خواء روحي ومادية قاتلة، داء معروف ودواء مجهول، يريق يخدع الأنظار ودوامة تحجب القلوب.

فالغزو الحديث للعالم الإسلامي يستهدف إفساد السلوك عوضاً عن إفساد التصور، إذ فشلت شيوعية ملحدة وباطنية منحرفة في إفساد التصور العقدي الإسلامي عند الشعوب المسلمة، وتستهدف الجهود الآن مخاطبة البطن بدلاً من مخاطبة العقول، فهي دنيا يسعى لتطويعها هؤلاء، وإلهاء شعوبها بها، عن الآخرة، ويتم ذلك التطويع في ظل أساليب حديثة ، تتخطى الحدود السياسية وتتجاوز المسافات الجغرافية المتباعدة ، مجتمع عالمي مفتوح ، فردة إنسان عالمي ، تكنولوجيا المعلومات والتصنيع تجعل نقل الصوت والصورة والخير أنياً وبناء الحضارة المادية متسارعاً ، وليس أمام المسلم ، في ظل هذه الظروف ، إلا البناء السليم للتصور العقدي والسلوك الإسلامي ، القادر على مقاومة التيار المضاد بالعلم والعمل ، دون انعزال وتوقع.

وإفساد السلوك ليس كإفساد التصور، بل هو أخطر منه، إذ يخضع للثاني الجاهل بالإسلام دون العالم به، والجاهل والعالم سواء أمام تأثير الأول، إذ يقاوم إفساد السلوك تقوى القلوب ويقاوم إفساد التصور علم العقول.

وقد حذرنا الله سبحانه وتعالى في آيات كثيرة من تقليد تصرفات وسلوك الفرق غير الإسلامية، مثل قوله تعالى: ((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ)) و((وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا)) و((وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ))
فها هي الحركة الإسلامية أمام التحدي الجديد، إما أن ترتفع بنفسها إلى مستواه أو تتحطم تحت أمواجه، وهي في أسلوب عملها، إما أن تنتقل إلى مرحلة التحالف والتعاون أو تستمر في مرحلة التخالف والوصاية.

ألم يأن للذين يحملون لواء الحركة الإسلامية أن تقدر التحديات التي تهب ريحها من الشمال حق قدرها، كما قدروا هم التحدي القادم من الجنوب حق قدره؟ ألم يأن للحركة الإسلامية أن تدرك أن الصراع هو صراع بين أمم وحضارات، وليس بين أمم وجماعات أو بين جماعات وجماعات ((وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)) ألم يأن للحركة الإسلامية أن تعتبر بأحداث الماضي في سير الأولين والآخرين.

البابا يدعو الشباب التشادي ليكونوا قساوسة

أمضى البابا جون بول الثاني آخر يومين من رحلته بعد أن زار خمس دول أفريقية في تشاد حيث زار مدينتي "سارة" و "ماوندو" الواقعتين في أقصى الجنوب، ذكرت ذلك صحيفة "الواشنطن بوست" الصادرة يوم ١/ فبراير ١٩٩٠م والتي نقلت عنه كذلك دعوته الشباب التشادي للتفرغ للعمل في الكنيسة ومناشدته إياهم أن يصبحوا قساوسة. جاء ذلك في الخطاب الذي ألقاه في اليوم الثاني لزيارته (الخميس ١/٢/٩٠م) أمام بضعة آلاف من التشاديين المسيحيين بحضور "ماتياس نجرائيري" مطران تشاد الوحيد، ومجموعة القساوسة هناك والبالغ عددهم (١٨٩) قسيساً يمثل التشاديون منهم أقل من عشرين بالمائة والبقية أجانب.

ومعلوم أن مسيحيي تشاد تابعون للكنيسة الكاثوليكية الرومانية وهم لا يتجاوزون نسبة ٥% من مجموع السكان الذي يربو على الخمسة ملايين كما تصل نسبة المسلمين فيه إلى ٦٠%، والبقية وثنيون يعيشون غالباً في الجنوب حيث ينتشر ويعمل بينهم هؤلاء المسيحيون ومن ورائهم الفاتيكان وجمعيات التنصير المختلفة التي فتح أمامها المجال بعد دخول البلاد تحت سيطرة المستعمرين الفرنسيين في العقد الثاني من هذا القرن، فأفرخت بضعة أحزاب وجمعيات سياسية كان لها أثر مباشر على تطورات الأمور في تشاد، كما تربي في مدارسها بعض من قُدر له أن يحكم البلاد ولسنوات طويلة أمثال فرانسوا تومبلباي وفيلكس معلوم.

واليوم وإن لم يعودوا على رأس الحكومة إلا أنه لا زال لهم فيها نفوذ قوي وهم يشكلون نسبة عالية من سكان أكبر مدينتين بعد العاصمة "إنجامينا" هما "سارة" وسكانها ١٢٤,٠٠٠ نسمة، و "ماوندو" وسكانها ٨٧,٠٠٠ نسمة، وتعتبر الأخيرة المنتج الرئيس للقطن الذي يقع على رأس قائمة الصادرات التشادية، كما أنهم يتلقون دعماً قوياً من الفاتيكان الذي لا يألو جهداً في استغلال حاجة الناس وفقرهم إلى الغذاء والدواء والتعليم في إيجاد وتوفير بيئة مناسبة لنشر المسيحية بينهم.

إن أمام المسلمين في تشاد مراحل طويلة وصعبة لا بد من تجاوزها حتى يتم لهم التمكين لدينهم ، وتخليص بلادهم من الحروب والانقسامات الداخلية ، وإخراجها من أزمتها الاقتصادية المزمنة ، ولذلك فإن الحاجة ماسة لأن يقدم المسلمون لتشاد وشعبها المسلم دعماً قوياً في كل المجالات؛ اقتصادية وتعليمية أو غيرها ، وأن يساعدها ويمدوها بالمال والرجال وأن يتعاونوا في ذلك دولاً وشعوباً .

@بريد القراء

الأخ الأمين عبد القادر من أرتيريا أرسل رسالة يشيد فيها بمستوى المجلة ، ويتمنى لو أننا نهتم بقضية أرتيريا وننشر حولها التحليلات التي تعطي فكرة للقراء عن هذا الموضوع... ونحن نشكر الأخ على رسالته وثقته بالمجلة ونود أن نشير إلى أننا من المهتمين بقضية أرتيريا اهتمامنا بأي بلد فيه مسلمون موحدون يؤمنون بدعوة: "لا إله إلا الله محمد رسول الله" وقد نشرنا في العدد ٢٦ من البيان موضوعاً طويلاً عن تطورات القضية الأرتيرية.

الأخ عبد الله غالب أحمد - تعز
أرسل يعبر عن إعجابه بموضوعات المجلة وحرصها على سلامة اللغة العربية ، ويسأل عن أقرب طريق للحصول عليها.

البيان : نشكر الأخ عبد الله على حرصك وحبك للعلم والمجلة توزع في اليمن ويمكنك الاتصال والعنوان موجود في داخل المجلة وإذا أردت الاشتراك المباشر فأرسل لنا قسيمة الاشتراك والمبلغ المطلوب وجزاك الله خيراً.

بأقلام القراء لماذا انهزمنا؟

روت كتب السير أن الفرنجة أعدوا جيشاً عظيماً للاستيلاء على الأندلس ، ولكن قبل أن يتحرك هذا الجيش تنكر أحد جواسيسهم في صورة تاجر ، ودخل البلاد لكي يتعرف على أحوال المسلمين، وفي أول خطوة داخل أرض الأندلس الإسلامية التقى هذا الجاسوس المتنكر بصبي مسلم يبكي تحت ظل شجرة ، قال الجاسوس للصبي: لماذا تبكي؟

فقال الصبي: أبكي لأنني رأيت طائرين فوق هذه الشجرة فأردت أن أصيدهما بضربة واحدة غير أن طائراً واحداً سقط بينما طار الآخر ونجا.

فرجع الجاسوس من لحظته إلى قومه ونصحهم بالترث والانتظار حتى تتبدل أفكار هؤلاء الأطفال لأن قوماً هؤلاء أطفالهم لن يهزموا مهما بلغت قوة أعدائهم، لهذا لا بد من استعمال سلاح أشد فتكاً من سلاح السيوف والرمح ، ألا وهو سلاح النساء ، والغناء ، والملذات ، والشهوات ، ويا للأسف فلقد حدث هذا فعلاً وبعد سنوات قليلة أصبح الأندلس فردوساً مفقوداً وتحول إلى قصيدة يترنم بها المسلمون وأغنية ونشيداً...

وتتساءل الآن لماذا انهزم المسلمون ، لماذا انهزم ألف مليون مسلم أمام شرذمة من أحفاد القردة والخنازير؟ فخذوها مني صريحة أيها المسلمون !!
والله ما انهزمنا إلا عندما حدنا عن الصراط المستقيم ، والطريق القويم ، الذي أنزله رب العالمين ، والله ما تداعت علينا الأمم وتكالبت علينا الشعوب وتطاول علينا السفهاء إلا عندما غيرنا ما بأنفسنا فغير الله حالنا ، فانتكست قيمنا ، وانعكست مفاهيمنا ، فأصبح إعفاء اللحي تزمناً؛ وتقصير الثياب تطرفاً؛ وتستر النساء تخلفاً؛ والاقتراء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام رجعية. والله ما ذلنا إلا عندما حلت المجلات الخليعة والأغاني الماجنة محل المصاحف ، والله ما هنا إلا عندما غابت شمس خديجة وعائشة وحفصة عن سماء دنيا نساءنا وفتياتنا ، وعلت وجوه تلك الهابطات السافلات من الممثلات والفنانات ، والله ما تقهقرنا وتخلفنا إلا عندما أصبح قدوة الواحد منا مغن ماجن أو لاعب فاشل ، أو ممثل جاهل ، ونسينا أبا بكر وعمر وعثمان وعلي الذين رفعوا شأن هذه الأمة ، وفجروا بركان التوحيد في أرجاء المعمورة حتى رفرقت راية الإسلام على الشواطئ وقمم الجبال...
فعودة صادقة إلى المنبع الصافي؛ إلى كتاب الله وسنة نبيه ، لينصرنا الله ويغير حالنا من هزيمة وذلة إلى نصر وعزة مصداقاً لقوله تعالى ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)).

أهمية العقيدة والدعوة إليها

أرسل الله سبحانه رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون وجاءوا من عند الله مبشرين ومنذرين على هدف واحد ويدعون إلى عقيدة واحدة التي هي محور دعوة جميع الرسل من نوح عليه السلام إلى خاتمهم وأفضلهم محمد -صلى الله عليه وسلم- ، الذي بعث رحمة للعالمين ، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ، وسار على نهجهم السلف الصالح ، يستلهمون سر وحدتهم من صفاء العقيدة الخالصة التي لم تشبها شائبة ، فأصبحوا بذلك سادة الدنيا وفتح الله لهم أبواب الخير في كل مكان ورفعوا راية التوحيد في مشارق الأرض ومغاربها ، لأن الذي بدعوا به هو الأهم قبل المهم ، وانطلاقهم في دعوتهم من تحقيق كلمة التوحيد "لا إله إلا الله محمد رسول الله" لأن ذلك هو الأساس الذي أمروا أن يبدعوا به.
قال الله تعالى: ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) وقال تعالى: ((وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا)) والعقيدة مهمة جداً لنيل المقصود في الآخرة ، أساس كل عمل وتكفر الذنوب والكبائر إذا صدرت عن إخلاص وقوة إيمان يدل لذلك ما رواه الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص من حديث صاحب البطاقة حيث ينشر له تسعة وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ، ثم يأتي ببطاقة فيها "أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله" فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فتطيش السجلات ، وتثقل البطاقة فالعقيدة هي رأس الأمر كله والجسد لا يستقيم بلا رأس ، ولكن الأمر اليوم قد تبدل في أهمية العقيدة والدعوة إليها ، فقد يركز الداعي إلى أمور لا تستقيم إلا بالعقيدة ، فبعضهم يدعو إلى مكارم الأخلاق أو يدعو إلى السياسة الصحيحة وبعضهم يدعو إلى صفاء النفوس وطهارتها ، لكن لا أهمية لهذه الأمور إن لم يكن الأساس قد وضع لها ، وهي العقيدة الصافية الخالصة من كل شائبة فتراهم يبدعون بالدعوة إلى بعض الفروع ، ويزعمون أنها متى أقيمت فسوف يأتي الأمل تلقائياً..

إن الدعوة الصحيحة هي التي تقام على ما قامت عليه دعوة السلف الذين جعلوا الدين وحدة متكاملة ينطلق في السياسة والأخلاق وجميع الأمور من العقيدة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة ، وعند الهتاف بأن الدعوة لا بد أن تكون على العقيدة لا يعني إهمال الجوانب الأخرى إنما يعني وجوب التأسيس وتكون أعمالنا من منطلق العقيدة.

أم زياد المالكي

قديم جديد

أهمية الزراعة

وخطر الزهو والخيلاء والزينة

علي مبارك (١)

أسباب تأخر الزراعة :

كان لتأخير الزراعة أسباب كثيرة ، وأقواها: تأثير الاحتقار بأهل الفلاحة ، وعدم الالتفات إليهم ، وترك التبصر في أحوالهم ، وارتكاب ما تضيع به ثمرات الفلاحة ، من تسخير أهلها بالعسف والقهر ، والتعدي عليهم بما يقهقر حالهم ، ويفسد عليهم أعمالهم ، وكالتغالي في الزينة والزهو والإكباب على اللعب واللهو ، خلافاً لما يزعمه أخساء العقول من أن ذلك من لوازم الثروة ، فإن بطلانه لا يخفى على كل ذي بصيرة.

أضرار التفاخر والزينة :

فضرر حب الزهو والفخر كضرر المحاربة، بل أضر، لأن المحاربة، وإن كانت تضر بأرض الزراعة لا تضر بالأمة، وإن أضرت فضررها وقتي، ومما يؤيد ذلك أنك ترى بعض الجهات وقع فيها محاربات كثيرة وهي الآن أحسن مما كانت قبل الحرب ، لأن الغالب أن الحرب إذا كانت في جهة وأتلفت منها شيئاً زاد عمار الأخرى بقدر ما تلف من الأولى ، وقد ينتبه الجميع بعد انقضائها فيتركون الرفاهية فيعودون إلى أحسن مما كانوا. فعلمنا من ذلك أن الحروب وكذا الأمراض الوبائية ليست السبب في تدمير الأمم أصلاً ، بل السبب في حب الزهو والزينة ليس إلا ، لأننا لو فرضنا أن فرساً واحداً دخل مدينة للخيلاء به ، لا لعمله ، لم تشك أنه يأخذ من ريع تلك المدينة لمؤنته ما يعدل مؤنة أربعة من نوع الإنسان ، وهذا فرس واحد ، فما بالك بأفراس؟! أو ما بالك بغيره من الحيوانات التي لا فائدة فيها إلا النظر لذاتها؛ أو التأمل في ألوانها وهيئاتها؟! ولا يقال : إن اقتناء الحيوانات - وإن كثرت مؤنتها- لا ضرر فيه ، لما يترتب عليه من تسميد الأرض بروثها ، فتزيد في محصولها بقدر مؤنة الدواب والحيوانات التي بها؛ لأن ذلك إنما يقال في الدواب والحيوانات التي بالقرى وأرض الزراعة ، وأما الحيوانات التي بالمدن فلا ، لأن روثها بها لا قيمة له ، بل قد يصرف عليه دراهم لإخراجه من محله ، مع ما يلزم لذلك من تعطيل أشخاص من أهل الفلاحة لخدمتها وجلب مؤنتها.

معيار الثروة :

وقد توهم بعضهم أن كثرة الأمة وقتلتها تابع لما يستهلك؛ قلة وكثرة أعني أنه كلما كثر المستهلك كثرت الأمة وكلما قل قلت ، وهذا التوهم لا يسلم به إلا لو اقتصر على ما لا بد منه ، والواقع غير

ذلك ، فإننا نرى القليل من الأمة يصرف أضعاف ما يصرفه الكثير منها ، فإذا تأملنا ذلك وجدنا أن معيار الثروة وعدمها تابع لكثرة المشتغلين بالزراعة وقلتهم ، فكلما كثروا أخصبوا ، وكلما قلوا أجدبوا ، فأبي قوم لم يشتغلوا بأمر الزراعة وتوابعها؛ كانوا وبالأعلى الأمة عموماً ، وعلى المشتغلين بها خصوصاً ، فحينئذ يجب على ولاة الأمر التنبيه لذلك ، وحمل أهل البطالة على العمل ، ولا سيما الشحاذين الذين اتخذوا التكفف صنعة ، فإنهم يتفننون في الحيل ويتعللون بما تسوله لهم أنفسهم من العلل ، فلا يمضي على الواحد منهم زمن قليل إلا وتحصل على جزء من المال. فمثل هؤلاء يجب منعهم وأمرهم بالتكسب لنلا يقتدي بهم من يميل إلى البطالة والكسل ، ليستغني بهذه الصنعة الخبيثة عن التكسب بالعمل.

واجب الدولة تجاه الزراعة :

فإذا تمهد هذا علمنا أن فن الفلاحة والزراعة هو الأصل ، بل هو أساس ثروة البلاد وعمارها ، وأصل رفاهية أهلها ، فيجب على كل حاكم احترام المشتغلين بها والالتفات إليهم كل الالتفات ، ومساعدتهم بأنواع المساعدات ، وتطبيب قلوبهم والرافة بهم ، وإلا كان كمن هدم أساس بيته بفأسه ، لأن مثل كل ملك مع رعيته كمثل شكل هرمي ، الملك كراسه والرعية كقاعدته وأسه ، ورجال الدولة ما بين ذلك على قدر درجاتهم ، فكما أن كل جزء من أجزاء هذا الشكل حامل لثقل ما فوقه وهكذا إلى الطبقة السفلى فتكون هي التي عليها ثقل الجميع ، كذلك أرباب الحكومة السياسية على اختلاف درجاتهم كلما فسدت درجة سرى ضررها إلى من دونها وهكذا ، حتى تجتمع جميع المضار على الضعفاء وأهل الفلاحة ، فلو قصر الملك نظره على من يليه من رجال دولته ، وصرف عمن دونهم نظره ، فسد نظامه ، واختلت مملكته وأحكامه ، فكما أنه لا بقاء للشكل إلا بقواعده ، كذلك لا بقاء لملك إلا برعيته ، فإن تنبه الحاكم وأنصف من نفسه عرف كيف يصون ولايته من الخلل ، بأن يشمل بنظره جميع رعيته ، لا يفرق بين الأجانِب منهم وذوي قرابته ، ولا بين ضعيف منهم وقوي ، وخص جميع أهل الفلاحة عندئذ بالعناية والالتفات ، لأنهم الحاملون لأثقاله ، القائمون بمصالحه وأعماله ، إذ لولاهم ما كان للملك قوام ولا تم له نظام ، وحيث كانت الأرض لا تفيد إلا بقدر ما تستفيد ، لا فرق عندها بين عظيم فتكرمه ولا فقير فتحرمه ، بل إن قام صاحبها بما يجب لها وخدمها انتفع بها وإلا عدمها، وهي على اختلاف أنواعها؛ لا يخلو شيء من أجزائها عن فائدة، حتى الرمل الذي لا يصلح للزراعة لو وضع منه شيء في الأرض السبخة، أو البرك المالحة لأصلحها ، وكذلك أخراس (٢) الأرض لو نقيت مما فيها وحرثت ، لكانت أصلح من غيرها ، وكذلك الأرض الحجرية يؤخذ منها أحجار للمباني العظيمة ذات الأسوار ، فما من إنسان في أي مكان وتيسرت له أسباب الراحة وانتفت عنه الموانع إلا تيسر له منه أضعاف قوته ، وتحصل على ما لا يتحصل عليه غائص البحر لياقوته ، فلو فرض أن فداناً غرس أشجاراً لا تثمر؛ وترك إلى نحو عشرين سنة لكان فيه من الخشب والفحم ما يقوم بمال عظيم مع أنه لم يلزم له إلا قليل من العمل والعمال ، فما بالك لو غرس أشجاراً ذات ثمر ، فلو فرضنا أن ذلك الفدان بعينه كان في المدة المذكورة ، يزرع حبوباً لكانت فوائده أكثر منها في الحاليتين السابقتين ، فعلم من ذلك أن الناس تابعة للزراعة ، كثرة وقلة ، ولو كان ذلك الفدان بعينه في ضاحية من ضواحي المدن قد هيا له صاحبه محابس لريه ، وغرس فيه أشجاراً ، وأجرى إليه أنهاراً وجعل فيه عروشاً أما كان بذلك يساوي أضعاف مثله من أرض القرى والأرياف؟ وما ذاك إلا لكثرة عماله واحتفاف الناس به ، فهذا دليل

على أنه كلما كثرت الناس بأرض زاد محصولها ، وأن الإنسان لو خلى ونفسه لجعل من الأرض الحجرية بساتين وكروماً.

(...) فلو أحصينا عدد قرية وفرضنا أنهم قائمون بخدمة أرضهم حق القيام كان عددهم دائماً فى زيادة ، لأن المجمع عليه عند أرباب الفلاحة أن الأرض كلما خدمت زاد محصولها ، فليس محصول المحروث مرة كمحصول المحروث مرتين ، ولا محصول الأرض التي تسقى بماء المطر كالتى تسقى بماء العيون ، ولا محصول الأرض التي سقيت كمحصول الأرض التي لم تسق ، وهذا من محسنات الزراعة.

فالفلاحة لا شك أنفع الصنائع ، إذا توفرت أسبابها ، وانتفت الموانع عن أربابها ، خلافاً لقوم ذموا واستقبحوها ، وعدلوا إلى دماء الناس وأموالهم فاستباحوها ، مع علمهم بأن فوائد الفلاحة لا تعدلها فوائد ، وإدرار أرزاقها دائماً متزايد ، وهم الأثينيون وسكان آسيا ، فكانوا يزعمون أن الفلاحة والتجارة مما يوهن القوى البدنية ، ويورث الذل للذرية ، فتركوا الصنائع ولم يلتفتوا لما فيها من المنافع ، وعدلوا إلى نهب الأموال ، وأسر ما قدروا عليه من نساء ورجال ، وعم ذلك جميع أوربا فأنتج خرابها ، وأفسد العمار الذي كان بها ، وكان المنقطع للفلاحة وقتئذ الأرقاء ، ومن يأوي إليهم من الغرباء ، فارتحلت عنهم حينئذ الفضائل الدثرية (٣) ، وقد كانت بقعتهم عين منبعها ومرج مرتعها ، وانظر إلى الرومانيين وما كانوا فيه من الخمول والتوحش ، فلما أفاقوا من خمولهم وتفننوا في الفلاحة علت شهرتهم وقويت شوكتهم ، ثم تقادم بهم الزمن وأهملوا أمر هذا الفن واشتغلوا بالمحاربات فال أمرهم إلى الخراب ، وضعت دولتهم وانحطت صولتهم ، وانتهى بهم الحال إلى أن تقاسم أرضهم المتبربرون. وبالجملة فلم نر جهة أهملت فيها الزراعة إلا حل بأهلها القحط والمجاعة.

مدار الازدهار على الأمن والاستقرار :

إلا أنه بغير العدل لا يتم صلاح ، إذ لولاه ما قدر مصل على صلاته ، ولا عالم على نشر علمه ، ولا تاجر على سفره ، وهو صفة في الذات تقتضي المساواة ، وهذه الصفة أكمل الفضائل، لشمول أثرها، وعموم نفعها، وإليها الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم-: « بالعدل قامت السموات والأرض » .»

وتوضيح الكلام يحتاج إلى مقدمة في هذا المقام، ذلك أن الله تعالى لما خلق الأرض ودحاها، وأخرج منها ماءها ومرعاها، وبث فيها من كل دابة، فكان فيما خلق نوع الإنسان، ولعلمه أنه ليس كغيره من سائر الحيوان، أحوج بعضه إلى بعض في ترتيب معاشه ومؤنه وتحصيل ملبسه ومسكنه ، لأنه ليس كسائر الحيوانات التي تحصل بنفسها ما تحتاج إليه من غير صنعة ، بل خلقه ضعيفاً لا يستقل وحده بأمور معاشه.

ثم مست الحاجة بينهم إلى سائس عادل، وملك عالم عامل، يضع فيهم ميزاناً للعدل وقانوناً للسياسة توزن به حركاتهم وترجع إليه معاملاتهم ، وكان مباشرة هذا الأمر من الله تعالى بنفسه من غير واسطة على خلاف ترتيب المملكة وقانون الحكمة ، فاستخلف عليهم من الأدميين ، خلانف ، وضع في قلوبهم العلم والعدل ليحكموا بهما بين الناس ، حتى يصدر ترتيبهم على قانون مشروع ، وتجتمع كلمتهم على أمر متبوع ، ولا تتحقق العدالة إلا بعد العلم بأوساط الأمور ، المعبر عنها بالصراط المستقيم ، ولا تؤثر عدالة الشخص في غيره إلا إن أثرت في نفسه ، إذ التأثير في البعيد قبل القريب بعيد ، قال تعالى: ((أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ

أَنْفُسَكُمْ)) [البقرة: ٤٤] ، فمن عدل في حكمه وكف عن ظلمه نصره الحق وأطاعه الخلق ، وصفت له النعماء ، وأقبلت عليه الدنيا ، فهنئ بالعيش واستغنى عن الجيش ، وملك القلوب وأمن الحروب ، ولم يخلق الله تعالى أحلى مذاقاً من العدل ، ولا أمرً من الجور ، لأن أس الملكة وأركانها ، وثبات أحوال الأمة وبنيانها: العدل والإنصاف ، سواء كانت الدولة إسلامية أو غير إسلامية ، فهما قاعدة كل مملكة ، وأصل كل سعادة ومكرمة.

الهوامش:

- ١ - علي بن مبارك (١٨٢٤-١٨٩٣): وزير مصري، من المؤرخين العلماء العصاميين النوابغ سافر مع بعثة مصرية إلى باريس ، وعاد إلى مصر فتقلب في الوظائف ، ثم عين ناظراً للأوقاف المصرية ، وأضيفت إليه المعارف ، فأنشأ مدارس كثيرة ، وله مؤلفات من أشهرها: الخطط التوفيقية في ٢٠ جزءاً ، وقصة سماها (علم الدين) ضمنها مباحث دينية واجتماعية ، ومنها أخذنا هذا البحث.
- ٢ - أخراس الأرض : الأرض البكر التي لم تستعمل سابقاً .
- ٣ - أي الكثيرة.. من "الذر" - بفتح الدال وسكون الثاء - ومعناه الكثير.

الصفحة الأخيرة

المطبوعات الإسلامية

عبد القادر حامد

هناك صنفان رئيسيان للمطبوعات الإسلامية : قديم وجديد .
 أما القديم ، فمناه ما يتعلق بالنواحي العقائدية والفقهية البحتة ككتب التفسير والفقه والحديث والأصول ، ومناه ما يتعلق بمعالجة قضايا هي بنت تلك العصور القديمة على ضوء الإسلام ، وكلا النوعين مبذول ولا تشكو المكتبة الإسلامية من قلته .
 وأما الجديد: فمناه ما يدخل في الدائرة الأولى من القديم: وهو التفسير ومحاولات تنزيل بعض الأحكام الفقهية على الوقائع المعاصرة، ودراسات تتعلق بالحديث وأصوله ، والدفاع عن حجية الحديث في مجال الإيمان والأحكام ، وهذا أيضاً موجود ولا حَجْر عليه .
 ومن الجديد ما يقابل الثاني من القديم وهو معالجة ومناقشة القضايا المعاصرة على ضوء من الأصول الإسلامية ، وهذا ما تفتقر إليه المكتبة الإسلامية ، بل تفتقر إليه الأجيال المعاصرة من المسلمين وعلى الرغم من وجود مقدار لا بأس به من المطبوعات التي تصدت وتصدى لهذا المجال؛ لكن العوائق التي تعترض وصولها إلى جماهير المسلمين كثيرة ، وأكثر القضايا التي يجب أن يكون للإسلام فيها فكر واضح مقترن بحدوثها لا يصل هذا الرأي والفكر إلى من يجب أن يصل إليه إلا بعد مرورها وبعد أن تصبح حدثاً تاريخياً أعطى نتائجه وأصبح في ذمة الماضي ، ولهذا السبب يبدو الفكر الإسلامي متأخراً عن معالجة قضايا الساعة .
 لكن الذي ينبغي التنبيه له هو أن هذا التأخر ليس مبعثه الفكر الإسلامي ، وإنما مبعثه أسباب خارجية ومعوقات توضع قصداً ، وتبذل في سبيلها أموال طائلة ، وتسخر لها عقول جبارة لتحتكر تقديم وجهة النظر التي إن سمح للإسلام للمشاركة فيها فلا يسمح له إلا بعد أخذ العهود والمواثيق عليه أن يكون ضمن الخط المرسوم!

تمت بعون الله / والحمد لله
